سلسلة رسائل المسجد
رسالة لكل مؤمن

سمات
جيل النصر الموعود

تأليف
علي حسين الميلادي







بسم الله الرحمن الرحيم

ربنا تقبل منا
إنك أنت السميع العليم

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع

رقم الإيداع ١٩١٩١/ ٢٠٠٤
الترقيم الدولي
977 - 331 - 344 - 2

دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع
١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٥٤٤٦٤٩٦

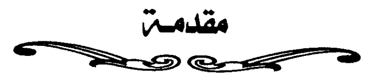
بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾

صدق الله العظيم

(سورة البقرة، الآية: ٢١٤)

مقدمة



إن الحمد لله نحمده ونستعين به ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، فمن يهدي الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن نجد له وليًا مرشدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير.

وأشهد أن سيدنا ونبينا وحبيبنا محمد رسول الله ﷺ.

يعيش العالم الإسلامي كله في حالة لاتخفى على أحد فهو يخرج من هزيمة إلى هزيمة، ومن إحباط إلى إحباط، ومن خضوع إلى خضوع، حتى أن معظم المسلمين في كل بقاع الأرض أصابهم اليأس والإحباط فمنهم من أنزوى في ركن لا يفكر في شيء، ومنهم من ينتظر النصر من السماء دون أي تحرك من البشر، ومنهم من أخذ بالأسباب وبحث في أسباب هذه الحالة التي يعيش فيها العالم الإسلامي، ولم يكتفوا بذلك بل شخصوا الأمراض، ووضعوا لها الحلول؛ وذلك من خلال دراسة التاريخ الإسلامي بعين واعية وليس بالعاطفة والتغني بأمجاد الماضي ولكن بالدراسة والتحليل حتى ظهرت هذه الدراسات لتكون أمام الجميع.

فسنة الله ووعده لعباده الصالحين بالنصر على الأعداء لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ (١٧٢)﴾(١).

ولكن الجنود الذين نسبهم الله لنفسه لهم مواصفات معينة خصهم بها، باعتار أن النصر لا يأتي للمهزوم ولا للمتقاعس.

ونحن في هذه الأيام نرجو ونسأل الله النصر على أشرس البشر على

(١) سورة الصافات: الآية ١٧٣.

وجه الأرض ألا وهم اليهود ومن خلفهم الصليبيين، فهي معركة لم تشهد البشرية مثيلاً لها، وعد الله فيها عباده بالنصر.

ولكن هؤلاء العباد عليهم تكاليف كثيرة وإستعداد كبير حتى يكون لهم النصر الموعود.

وتحتاج هذه المعركة للصبر الجميل، والإعداد الجيد ثم يأتي النصر من عند الله أما أن ينتظر الناس الملائكة ليحاربوا عنهم وهُمْ قُعُود، فهم لم يفهموا بعد حقيقة الإسلام، فالمسلم جسد حيٌّ وقلب محموم يؤجر بالنية فمن سأل الشهادة بصدق ينالها وإن مات على فراشه.

فهذه فرصة ذهبية لهذا الجيل ليأخذ الأجر الكبير، وذلك بالعمل الدؤوب لنصرة الدين ولو بالقلب، ولا يحق لمسلم أن ينام ويقول أتمنى النصر للإسلام فهذا لا يأتي بنتيجة حقيقية.

فالنصر يأتي بالعمل الشاق والإستعداد والتضحيات بالغالي والنفيس ومن مات على هذه النية وهو يتحرك كُتبَ له أجرٌ من التحق بهذه المعركة وكان مع الشهداء.

وأما إذا أهلك الله أعداء الإسلام وما ذلك على الله بعزيز، فمن أين الأجر وأين الثواب فهذه الإبتلاءات وهذه المصائب لأمة الإسلام خيرٌ للجميع ورضا من الله على كل من يحب الإسلام، ويتمنى أن يرى راية الإسلام خفاقة ويعمل على ذلك وليعلم الجميع أن نور الله باقٍ في الأرض ولو كره المشركون ولو كره الكافرون.

قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾(١)

فهذا الدين غالب ولو كره الكافرون بل إن الرسول وعد بفتح

(١) سورة التوبة: الآية ٢٣.

القسطنطينية وروميه وقد فتحت القسطنطينية كما وعد الرسول على يد القائد الفذ محمد الفاتح.

ولكن النصر له رجال ذو سيمات، وكذلك الهزيمة لها رجالها، وقائد النصر غير قائد الهزيمة، وحال الناس عند الهزيمة غير حال الناس عند النصر، والروح عند الهزيمة غير الروح عند النصر ومن يُدخل الغازي غير الذي يُخرجهُ فالذين يخرجون الغزاة تكون أرواحهم تواقة للشهادة، والذين يُدخلون الغزو أرواحهم تكون تواقةٌ للدنيا.

ولذا إذا أردنا أن نبني جيل للنصر علينا بدراسة التاريخ وتحليله للاستفادة من أخطاء الماضي، وبناء المستقبل على هذا الأساس فيكون لنا نصر الله القريب الذي وعد به عباده المؤمنين فنسأل الله أن نكون نحن من أبناء هذا الجيل وأن يُخرج من أصلابنا من يرفع راية الإسلام.

إنه نعم المولى ونعم النصير

الإسكندرية في: يوم الجمعة

الموافق: ٢٧ جمادى الآخرة ١٤٢٥ هـ

١٣ أغسطس ٢٠٠٤ م.

أسباب الهزيمة وعوامل النصر

عندما نتحدث عن النصر فلابد أن نتحدث عن جيل كامل لا عن أشخاص كما يحدث عادة في كتب التاريخ تتحدث عن نصر قائد فذ مثل صلاح الدين بطل حطين، ولكن معظم كتب التاريخ لا تتحدث عن باقي الجيل وعن حالة الناس عمومًا في أثناء هذه المعارك التاريخية الكبيرة وهذا تسطيح للأمور، وبهذا الأسلوب لا نستطيع أن نقوم بدراسة موضوعية لمعرفة أين الخطأ وأين الصواب، فالقائد ولا شك يتحمل جزءًا كبيرًا من المسئولية في المعارك الكبرى، ولكن العبء الأكبر يقع على الجيل كله، فالقائد الفذ وهو نتاج جيل فهو ابن هذا الجيل.

فلا يجدي وجود قائد فذ بلا جنود على نفس المسئولية وعلي نفس القدر من الإيمان والصبر والقوة والحنكة ولا يجدي وجود جنود كلهم إيمان وثقة بقائد مهزوم.

ونرى هذا في القرآن الكريم، فسيدنا موسى عليه السلام وهو نبيٌّ كريم وقائد عظيم ولكن مع جنود مُحبطين ماذا قالوا؟.

قال تعالى عنهم أنهم قالوا: ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾(١)

فعندما ندرس جيلاً من هذه الأجيال فلابد أن ندرس كل هذا الجيل من أمراء وقواد وجيش وعلماء وجميع أفراد هذا المجتمع كيف كان حالهم، فما قيمة أمير عادل مخلص وقائد فذ وجيش مُدرب على أعلى مستوى بلا علماء ربانيين فهو جسد بلا روح، وكل هؤلاء إذا أفتقدوا أفراد على أعلى

---

(١) سورة المائدة: الآية ٢٤ .

مستوى من المسئولية والإيمان، فلا نصر على الإطلاق. لأن كل هؤلاء نتاج هذا المجتمع، فصلاح الدين هو ابن هذا الجيل، وهذه الجيوش هي نتاج هذه المجتمعات، فعندما أراد سيدنا عمر رضي الله عنه أن يختار قائداً لدحر الفرس تحير أيهم يختار، فالكل قواد والكل يصلح لهذه المأمورية، فالقائد هو ابن هذا الجيل وهو يمثل عينة من هذا الجيل ولم يأت من السماء، ولذا إذا أردنا أن نقف على نصر كبير تحقق أو هزيمة كبيرة حلت بالمسلمين، فلابد من أن ندرس كل هذه المجتمعات حتى نستطيع أن نبني عليها، ونضع تصوراً وخطة لبناء هذا الجيل الذي طالما اشتقنا أن نراه يأخذ بيد هذه الأمة ويحقق لها وعد الله بالنصر على محور الشر، لنتخلص من هذا الطاغوت وأعوانه وكذلك يُخلصوا البشرية من هذا الشر الجاثم على صدور الناس جميعًا. ولذا نرى أنه باستقراء التاريخ والتوقف عند بعض المحطات الرئيسية من انتصارات المسلمين وأيضًا انكسارات المسلمين. لابد أن نقسم الأجيال إلى ثلاثة أجيال، جيل الهزيمة، جيل التمحيص، وجيل النصر.

فندرس أكبر الهزائم التي مرت على الأمة وأسبابها. ثم بعد ذلك ندرس الجيل الذي سبق جيل النصر ووسائل نهوضه وطرق اختياره وإعداده وسمات رجاله في هذه الفترات التي سبقت المعارك الكبيرة.

ونأتي إلى جيل النصر وندرس رجاله لوضع برنامج تربوي للوصول إلى أمثال هؤلاء الرجال.

وأيضًا ندرس أجيال الهزيمة ونحلل أسباب هذا السقوط وحال رجال هذا الجيل وسيماهم لنعالج رجال الأمة من هذه الأمراض التي فتكت بهذه الأجيال. ولنا في التاريخ العبرات والعظات.

ونبدأ مرحلة الإعداد ونأخذ من أجيال التمحيص ما يناسب هذا الجيل ونعمل منها خطة للبناء والإعداد، فنملك بعد ذلك جيلاً قادرًا على النصر.

وعندها يأتي نصر الله الذي وعد الله به من عباده من كان تقيًا.

جيـــل الهزيمــة

سوف نتوقف مع جيل الهزيمة عند ثلاث محطات رئيسية كانت للهزيمة المروعة أثرٌ فيها في تاريخ المسلمين، وأثرت أيضاً في جسد الأمة.

وبعدها ندرس أسباب الهزيمة لعلها تكون لنا نورٌ نتلافى به هذه الأسباب، ونضع لها العلاج المناسب وعندما نتحدث عن جيل من الأجيال فنتحدث عن النظام السياسي في هذه الفترة للمهزوم، وكذلك للعالم المحيط به أو المؤثر في الأحداث، وأيضًا سوف نتحدث عن حال علماء الدين، فهم وقود الأمة وهم الذين يأخذون بأيدي الناس إلى صالح الأعمال وهم قواد المعارك في الظل، فطالما كان لهم دور في بناء الأجيال وفي كثير من الأجيال، كانوا هم أصحاب مدرسة إعداد القادة، وكذلك التعبئة المعنوية للجنود في أثناء الحروب.

وأيضًا سننظر إلى الحالة الاقتصادية للبلاد في أثناء هذه المعارك، فإعداد القوة اللازمة لردع المعتدي تحتاج إلى المال الكثير، والمسلم مأمور أن يعد العُدة لملاقاة العدو وللدفاع عن الأوطان.

وأهم شيء هو دراسة أحوال الناس عمومًا وخاصة الحالة الاجتماعية في هذه الفترات العصيبة من تاريخ الأمة الإسلامية ومدى تأثر الناس بالدين والولاء للدين والوطن.

وأخلاق الناس في هذه الحالة، فالهزيمة ما هي إلا معبر حقيقي عن حال الأمة في هذه المرحلة فالله تعالى تعهد بنصر المؤمنين ولكن بشروط.

فقال تعالى: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾[1].

فالله لا ينصر المتخاذلين ولا المتواكلين ولا العاصين، وإن انتصروا في معركة فلا ينتصرون في حرب أبداً. ونبدأ بأول أجيال الهزيمة وهم من دخل الصليبيون في عهدهم إلى فلسطين.

(١) سورة الصافات: الآية ١٧٣.

دخول الصليبيين بيت المقدس
١٠٩٩م

تمكن الصليبيون من دخول بيت المقدس بسهولة ويسر بعد تاريخ إسلامي مليء بالإنتصارات والفتوحات والعزة ونشر دين الله في كل بقاع الأرض، حتى لم يبق إلا القليل من قارة أوربا لم يدخلها الإسلام.

وبعدها اختلفت الأمور، وتدور الدوائر على المسلمين، وتتمكن القوات الصليبية من دخول بيت المقدس بعد أن كانت في رعب، وتحاول الدفاع عن أراضيها، ومنهم من كان يؤدي الجزية للمسلمين لحمايتهم من أعدائهم، ثم جاءت مرحلة أخرى في التاريخ الإسلامي وهي مرحلة التراجع والاندحار والإنبطاح وكانت الضربة الموجعة للعالم الإسلامي وللمسلمين وهي تتمثل في احتلال بيت المقدس عن طريق الحملة الصليبية، وهذه الحملة لم تأت من فراغ، فكان هناك أسباب كثيرة للقيام بهذه الحملة فحالة المسلمين وحكام المسلمين وما وصلوا إليه من ضعف شجع الجميع وحال على مجابهتهم، وحالة الضعف في جسد الأمة كان ظاهرًا للجميع، فكانت الفرصة وكان لهم ما يشتهون منذ زمن طويل.

فالله يقول: ﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ ﴾[1]

وإن لم تنصروا الله فمن أين يأتي النصر. لا تأتي إلا الهزيمة، والضربة القاصمة في صدر الأمة وقلبها في القدس الشريف، وبيت المقدس تحول إلى مخزن، هذا هو حال أولى القبلتين، ومسرى رسول الله ﷺ.

وكان المسلمون قد نسوا طعم الهزيمة منذ فترة طويلة من الزمن منذ

(١) سورة محمد: الآية ٧.

حوالي خمسة قرون وكان لا يُسمع إلا صوت الإنتصارات تلو الإنتصارات، وإن حدثت هزائم فهي قليلة وفي معارك بسيطة ثم تعود الكَرّة مرة أخرى. وسنتوقف قليلاً عند هذه الهزيمة لإن الحال عندها كان أشبه بحال اليوم في أشياء كثيرة، وأيضًا كان محور الأحداث في الحالتين المسجد الأقصى قلب الأمة الإسلامية.

الحالة السياسية:

الحالة السياسية في بؤرة الأحداث كانت كالآتي الخلافة العباسية في بغداد وكانت كحالة الرجل المريض الذي يحتضر، وهو في نهاية رحلة العمر، فشمس هذه الخلافة أوشكت أن تغرب، فتمزقت دولة الخلافة، وأصبح الولاء للخلافة في أحسن الأحوال شكليًا فقط، وأفسد الخلفاء أو معظم الخلفاء، وحادوا عن الطريق وعن منهج الإسلام.

وكانت هناك خلافة أخرى في مصر وهي الخلافة الفاطمية، وخلافة أخرى في الأندلس، والمغرب العربي منقسم إلى عدة طوائف.

وقلب الأحداث منقسم بين الخلافة العباسية والفاطمية، وأيضًا بين الأمراء، والحروب بين الملوك والأمراء على أشدها حتى أنه قيل إن بعض الأمراء هو من استدعي الصليبيين لدخول المنطقة، ليكونوا سنداً لهم ضد بعض الأمراء الآخرين، وهذا الاحتمال لا يُستبعد تماماً فبعد دخول الصليبيين وجدنا التعاون والتآلف بين بعض الأمراء وبين الصليبيين، وكذلك المعاهدات المشبوهة معهم.

والسمة الأساسية للحكومات الإسلامية هو فساد الوزراء والقواد، ومعظم الجيوش كانت من المرتزقة التي لا تُدين بالولاء إلا للمال ولمن يدفع أكثر، وعندما بدأ الصليبيون بالزحف إلى الحدود الشمالية للأمة لم يتدخل أحد من الفرقاء، فلم تلاق هذه الحملة إلا القليل من المقاومة وفي

غالبها كانت من الأهالي، والمقاومة الإسلامية من بقية قليلة من المؤمنين، ولكن أنى لهذه المقاومة أن توقف هذا الزحف وهذه الجيوش المنظمة. التي حملت رمز الصليب، لتخدع به الجمع من البسطاء لدخول هذه المعارك بحمية، والمسلمون لم يدخلوا هذه المعارك إلا بحمية جاهلية ودفاعًا عن ملك ومصالح دنيوية.

وتم حصار القدس فترة قصيرة ثم اقتحمت الجيوش الصليبية القدس، ولكن المشاهد أنهم عاثوا فسادًا في الأرض، حتى أن الخيول كانت تسير في دماء المسلمين فأصبحت الدماء ماء فالضحية بلا حراك ولا يوجد من يدافع عنها وشعروا بضعف المسلمين، والجيوش المسلمة، وكذلك حال الحكام المسلمين فتجرأوا على العامة وأشهروا السيوف على رقاب المسلمين فلم يعد لهم من يدافع عنهم، ونقف هنا وقفة لنذكر بعز المسلم في ظل الخلافة عندما كانت خلافة بحق وقف هارون الرشيد الذي تكلم إلى السحابة وقال لها اهطلي حيث شئت فإن خراجك آتي إليَّ.

وأيضًا موقف المعتصم بالله في العصر الذهبي للخلافة العباسية عندما سمع نداء المرأة تستغيث في أقصى الأرض من هذا الجندي الذي اعتدى عليها بالقول، فتصل الإستغاثة إليه ويُرسل الرد قويًا مزلزلاً ويقول من المعتصم بالله خليفة المسلمين إلى ناقفور كلب الروم إن لم تأخذ لهذه المرأة حقها أتيك بجيش أوله عندك وأخره عندي.

وأما جثث المسلمين ودماء المسلمين في القدس فقيل إنها حوالي ٧٠ الف قتيل فلم يجدوا إلا الطيور تأكل من هذه الجثث والخيول تسرح في دماء المسلمين وكُتب التاريخ تدون هذه المأساة.

تجمدت الدماء في عروق الحكام، فالشرف والعرض والكرامة والدين والإيمان كانت عملة نادرة في هذا الزمن.

بل العجب كل العجب أن عروش هؤلاء الحكام والأمراء أصبحت مهددة ولكن لم يتحرك أحد منهم، فأُسقط في أيديهم فلم يكن في أيد أي منهم أن يفعل شيئًا، فلا جيوش مخلصة ولا علماء دين تقود الناس، والجبهة الداخلية متهالكة، تحقد على الحكام وتكرههم من فرط الظلم الواقع عليهم من طائفة الحكام.

وحامت ذئاب الصليبيين حول هذه العروش وأكلت منها الكثير هنيئًا مريئًا.

فهذه هي الحالة السياسية لهذا الجيل الذي ضاع في عهده المسجد الأقصى ووقعت معظم الأراضي العربية في أيدي الصليبيين.

الحالة الدينية:

عندما نتحدث عن الحالة الدينية فلابد أن تتحدث عن أطراف ثلاث، العلماء والعامة والعلم.

فالعلم:

توقفت حركة الاجتهاد وتأليف الكتب والبحث في الأصول واستنباط الأحكام والاستفادة من العلوم الإنسانية الأخرى، ففي الماضي كانت هناك حركة علمية موفقة نحن نعيش إلى اليوم على هذا التراث العلمي الكبير الذي لم يكن له مثيل، ولن يكون له مثيل على مستوى البشرية من إثراء للعلوم الشرعية وكذلك العلوم الدنيوية.

حتى جاء القرن الخامس الهجري وتوقف التجديد في الخطاب الديني، وجاءت مرحلة الجمود والحواشي، والمذهبية البغيضة التي ساعدت في إشعال النار بين أصحاب المذاهب بعضهم ببعض، وأصبحت المناظرات تُجري للدفاع عن المذهب فقط ولا لشيء، إلا المفاخرة والتعصب الأعمى لآراء المذهب.

وحركة التأليف ازدهرت فقط في الطعن في أراء المذاهب الأخرى والتشكيك في أدلة المذاهب المختلفة.

وحركة التأليف انحصرت في رأي مذهبنا صوابًا لا يحتمل الخطأ. ورأي غيرنا خطأ لا يحتمل الصواب. مع إن أصحاب المذاهب هم من قالوا رأي صواب يحتمل الخطأ. ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب. وكان أصحاب المذاهب يتوادون فيما بينهم ونقرأ شعرًا كتبه بعض الأئمة في بعض، والحب بينهم كان قائمًا والاحترام وتقدير المكانة العلمية لبعضهم البعض، فكانت عندها حركة التأليف الديني في أزهى عصورها ونحن شهود على ذلك بالتراث الذي بين أيدينا.

العلماء:

العلماء هم الذين يعبرون عن أنفسهم وعن حالهم، وذلك من خلال المؤلفات العلمية، وفي هذه المرحلة أصبح لكل مذهب شيوخه ومساجده والأدهى والأَمَرُّ حالهم مع الحكام، وأصبح رضا العلماء عن الحكام والملوك بتعين أشياع المذهب في الحكم، فدليل الصلاح للحاكم بعدد الكراسي في الوزارة لأعضاء المذهب، حتى ولو كان الحاكم ظالماً جاحداً، وانقلبت الموازين وعميت الأعين، وذهبت العقول، وتاجروا بالدين.

وعلامات الغضب على الحاكم على قدر تجاهله لأصحاب المذهب فكل طائفة من العلماء ظنوا في أنفسهم وفي مذهبهم أنه فوق النصوص، وفوق كل شيء وأدعوا العصمة لأصحاب المذهب، مع إن أصحاب المذاهب لم يدعوا لأنفسهم هذا أبداً، فالجميع يُشهد له بالتواضع والورع، وانتشرت المذاهب الفقهية، وكل طائفة وأصحاب مذهب جعلوا أنفسهم مبعوثي العناية الإلهية لإنقاذ البشرية، ولهم العصمة وهذا بعيد عن الإسلام تماماً. فالإسلام لا يعرف الاستعلاء.

فالمشاهد أن الحركة العلمية الدينية سارت بعناية إلهية، فالقرن الأول كان قرن القرآن وتدوينه.

والقرن الثاني كان قرن الفقه وأصول الفقه وأُنشئت المذاهب. والقرن الثالث كان قرن الحديث وظهور علم الحديث وتدوينه. والقرن الرابع كان قرن التفسير للقرآن الكريم.

وهذا لا يعني أن هذه العلوم لم تبدأ من قبل، ولكن نعني أن في هذه القرون بلغت القمة. ونعود إلى الحالة الدينية مرة أخرى، ونقول أنه عند لقاء الجيوش كانت هذه المذهبية البغيضة تطل برأسها وعلماء المذاهب كانوا سببًا في فرقة الجيوش وانقسامها حتى أن بعض العلماء كان يُفتي يعني ببطلان صلاة من صلى خلف إمام من مذهب آخر.

العامة:

وكانت هناك أيضًا بجانب علماء المذاهب الفرق الإسلامية المتنافرة وأهمها السنة والشيعة، كانوا أعداءًا على طول الطريق، فالخلافة العباسية سنة، والخلافة الفاطمية شيعة، وبلاد فارس شيعة، ومن المفارقات أن الدولة الفاطمية حكمها طائفة الاسماعيلية، وهي طائفة بفكر سياسي وليس فكرًا دينيًا، ديني وهو فكر ضال مرفوض من السنة والشيعة، إلا أنهم لم يتجمعوا لمحاربة هذا الفكر المخرب الدخيل على العقل الإسلامي.

وعلى مدار التاريخ ظهر الخلاف السني الشيعي هو كموضوع للشقاق الدائم، وهو من أهم عوامل تأخر العالم الإسلامي مع إن هذا الخلاف موروث تاريخي وثقافي بين العرب والفرس، ولكن هذا الموروث ألبسوه لباسًا دينيًا حتى يستمر الصراع والتناحر، ولضمان عدم توحيد كلمة المسلمين.

وكان هناك أيضًا جماعات الدراويش والمتصوفة، وهذا التيار لم يذدهر

من قبل كما يدعي أتباعه، ولكنه انتشر في هذه الفترة بعد أن ملَّ الناس من الخلاف المذهبي والمشاحنات، ووجد أصحاب هذا الفكر هذا المناخ الملائم لدعوتهم للناس، وكذلك بسبب الاضطراب السياسي والهزائم المتلاحقة والخلاف بين المسلمين.

فكان أصل الدعوة الهروب من الدنيا والاستعداد للآخرة، وأصبح كل تيار من هذه التيارات يجذب أتباعه بإدخال بدعة جديدة في الدين في الذكر بالذات، وانتشرت الطرق المختلفة، وظهر الغلاة منهم واستشرى الكذب أيضاً وأصبح بها الإستعلاء عن طريق أصحاب الطريقة وشيخ الطريقة وعظمة شيخ الطريقة مع إن أصل التصوف هو الترفع عن الدنيا، وما فيها والاكتفاء بالآخرة، ومنهم من ادعي لنفسه رفع التكاليف عن شخصه والبعد التام بذلك عن الشريعة الإسلامية.

وعلم الكلام وجد له أيضًا مكانًا في وسط هذا الزخم والاضطراب الفكري والهرج والمرج، وضل بعض علماء المسلمين وحادوا عن الطريق الصحيح عن طريق علم الكلام، فهو شر كان لابد منه. وذلك لإنه بانفتاح المسلمين على الدنيا ظهر الفلاسفة بين المسلمين وتعلموا العربية وأفسدوا على الناس دينهم، ولم يجدوا من العلماء من أصحاب المدارس الفقهية من يستطيع أن يرد عليهم ويجاريهم في هذه الصنعة وعندها ظهر علم الكلام في الثقافة الإسلامية وهو علم لا ينفع أي إنسان يتعلمه، إلا إنه كان لابد منه وذلك نتيجة لفشل علماء الفقه في التصدي لهؤلاء الفلاسفة في المناظرات المختلفة.

فكان لعلماء الكلام المسلمين الأثر في صد هذه الحملة الشعواء من الفلاسفة على العامة ليفسدوا عليهم دينهم، ونازلوا الفلاسفة وقضوا عليهم وعلي شبهاتهم أمام العامة وردوا هذه الحملة.

وأيضًا انتشرت الكثير من الفرق الإسلامية الضالة وجذبت الكثير من عوام الناس وذلك لإن المدارس الفقهية هي المسئولة عن هذا الخلل باعتبار أنها جمدت عقول الناس ولم تسمح لهم بتعلم شيء غير ما يقوله شيخ المدرسة، فأصحاب المدارس الفقهية عندهم ضيق في الأفق والمحاورة، فلم يستطيعوا أن يتصدوا لهذه الدعاوي الفاسدة، وهذه الفرق بالإقناع وبالحجة والنصوص، ولكن بظاهرة الرمي بالكفر والفسق والزندقة، وإن كانت الحجة في رأي مذهب آخر لم يُؤخذ به حتى ولو ضاع كل المسلمين فالمهم هو المذهب واتباعه وشيوخه.

الحالة الاقتصادية:

في هذه المرحلة كان هناك فقر شديد وتخبط اقتصادي، واعتمد الاقتصاد على الضرائب الظالمة والجزيات الكبيرة. ونهبت معظم أقوات الناس وظهر الغلاء وقلت المؤن والقوت الأساسي للناس، وحتى فرضت الضرائب في مصر على كل شيء حتى وصلت إلى حوالي ٥٤٪ تقريباً، حتى الحجاج لم يسلموا من دفع الضرائب على المرور ومن لا يدفع يُضرب ويُحبس، أمر عجيب لمثل هذه الدول ومن هنا كان السقوط السريع ولم يجدوا من يدافع عنهم حتى أن العوام تمنوا أن يحكمهم أي شخص إلا هؤلاء الحكام الظلمة.

ومع كثرة هذه الأموال كان الفقر، ولم يكن بسبب قلة الموارد، فالله حبى الدول الإسلامية الكثير من الثروة، ولكن سبب الفقر كان السفه في الإنفاق على إقامة الحفلات والموالد والأعراس والموائد للأمراء والسلاطين أو لشراء الولاء لهؤلاء الملوك. أما الإعداد للعدو وشراء السلاح فلا وألف لا، فالسلاح للدفاع عن الحكم فقط وما أشبه اليوم بالبارحة.

الحالة الاجتماعية:

تأثرت الحالة الاجتماعية للعوام بخلاف العلماء، فنقلوا المعركة المشتعلة بينهم إلى الشارع، فزادت الفرقة بين الناس حتى وصل الحال إلى المعارك بين أتباع المذاهب المختلفة، وحتى أصبحت حالة حرب معلنة، وكان أتباع كل مذهب أو فرقة تعيش في حي خاص بهم، ولا يتعاون بعضهم مع بعض، كأنهم أصحاب عرقيات دينية مختلفة فتفكك النسيج الاجتماعي للمجتمعات الإسلامية تمامًا، وأصبحوا كالأخوة الأعداء وحتي الزواج منع في أغلب الأحيان بين أصحاب المذاهب المختلفة والفرق وخصوصًا بين السنة والشيعة.

وأمام هذا الإنهيار في كل الأمور، كان لابد من هذه الهزيمة وهذا الاختراق لقلب الأمة، فلم يكن هناك من يستطيع أن يوقف هذه الحملة.



سقوط بغداد على يد المغول ونهاية الخلافة العباسية
١٢٥٨ ميلادية ٦٥٦ هجرية

ونحن على موعد آخر مع جيل آخر من أجيال الهزيمة، فبعد سلسلة من الانتصارات وطرد الصليبيين من القدس وفشل حملاتهم بعد ذلك على مصر وعلى فلسطين، واستقرار الأمور قليلاً فإذا بحملة أخرى ولكن هذه المرة من المشرق وتمت بالتعاون والتشجيع من الصليب للمغول لمهاجمة ديار المسلمين.

فبدأ المغول بالهجوم على الدولة الخوارزمية في فارس واحتلال أراضيها والجميع يتفرج حتي قضوا عليها تمامًا، وكان الذي يحدث في فارس يحدث في كوكب آخر كالمريخ مثلاً وليس على بُعد أمتار من ديار الخلافة. وكانت الحالة في كل المجالات عادت إلى ما كانت عليه بعد الصحوة التي طردت الصليبيين، وكانت الخيانات والتفكك، جيل معد تمامًا للهزيمة حتى إن بعض الكتب تتحدث عن المغول بأنهم جاءوا بناء على طلب من بعض الأمراء. المهم أجراس الإنذار لم يسمعها أحد حتى وقعت الواقعة وهجم المغول على دار الخلافة بغداد عاصمة الرشيد منارة الإسلام لسبعة قرون. وسقطت العاصمة سريعًا مع أن امكانيات هذه المدينة كانت مؤهلة للدفاع الطويل، وكان من الممكن أن يأتي الدعم لها من كل مكان، فالتتار كانوا منهكين من حروبهم في فارس، حتى رمز الخلافة استسلم هو وحرسه للتتار من باب الحماية لنفسه، وكان عدد الحرس كافيًا للدفاع عن بغداد، إلا إنه لم يفعل، فأخذ الجزاء قُتل هو ومن معه رفض الشهادة ومات بالذل. وما كان من هولاكو إلا أن رفع السيف

على رقاب الناس وامتلاء الفرات بدماء المسلمين، ودجلة يبكي من كثرة الكتب العلمية التي ألقيت فيه حتى أسود من الحبر، وبلغ الرعب بين الناس مبلغه، حتى إن الجندي التتري كان يسكر ويأمر مجموعة من الناس أن ينتظروه في الطريق حتى يُحضر السيف ليقتلهم فينتظروا، فهذه أمة انتهت لا تستحق إلا الموت.

وقيل إن عدد القتلى في بغداد بلغ ٨٠٠ ألف نسمة.

وسرعان ما انهزمت الشام وبسرعة سقطت حلب وجرى فيها ما جرى.

إلا أننا هنا نتوقف عند حمص فقد دافع أميرها وأهلها دفاعًا مستميتًا ولم يستسلم قائدها أبدًا حتى سقطت أخيراً، فما كان من هولاكو إلا أن ترك الأمير وأهل البلد احترامًا لشجاعتهم.

فالشجاع يُحترم من كل إنسان حتى ولو كان سفاحًا مثل هذا المفتري هولاكو، والجبان يهان من كل إنسان.

وعندها زلزل العالم الإسلامي زلزالاً، فلم يعد هناك خلافة ولا توجد أي جبهة قوية تستطيع أن تصد هذا الزحف إلا مصر، رغم أنها كانت تعاني من الخلاف بين المماليك والأيوبيين وتعلقت القلوب بهذا الأمل وتجمع فلول الهاربين في مصر.



ضياع القدس والكثير من الأراضي العربية ١٩٦٧م

موعد مع جيل آخر من أجيال الهزيمة ونحن شهود على هذه المأساة وإلى الآن لم تفق الأمة من هذه الهزيمة .فبعد مضي زمن طويل على إنتهاء الحروب الصليبية وعودة القدس إلى الحضن العربي وانتهاء الاحتلال من كل الدول العربية والإسلامية.

نشبت هذه الحرب المنكوبة على أمة الإسلام، ومازال هذا الجرح ينزف، فهو جرح غائر في جسد مريض، ولا أقول جرحًا فهو ضربة مميتة، وحالة الأمة يومها لا يختلف كثيراً عن حال الأمة عند دخول الصليبيين القدس، إلا إن الاختلاف الوحيد هو أن هذه الحرب أشعلتها الدول العربية بدون استعداد جدي لها، إلا الكلام الخالي من كل معاني المسئولية حتى إن الكثير من المحللين يُجزم بأن هذه الحرب كانت تجارة بالقضية الفلسطينية، فالأصوات كانت عالية والقوات التي يمكن أن تحارب العالم كله وتنتصر وتلقيهم في البحر الأسود والأبيض والأحمر، والقيادة الواعية الصامدة ضد قوى الشر كله، ونحن شهود على هذه المأساة التي سميت نكسة، وهي في واقع الأمر نكبة ولكن مزيفي الحقائق دائمًا وأبداً لا يستحيون من الكذب وتخدير الشعوب.

والشاهد أن الذي بدأ الحرب كانت معظم جيوشه في اليمن وفي أفريقيا تحارب المسلمين وتقتل منهم الكثير. وتتدخل في أفريقيا لقلب أنظمة الحكم لحساب دول معينة كان ظاهر العلاقة بينهم العداوة والباطن هو المودة.

ومما يُعجب له أن القوات لم تكن معها أي خطط لدخول فلسطين، مع إننا الذين بدأنا الحرب وهو سؤال بلا جواب إلى الآن.

والأغرب أن الجيش ذهب إلى المعركة بلا ذخيرة، كأنها مؤامرة سبق الإعداد لها بإحكام، والنتيجة مجزرة للجنود، والقواد تركوا الجنود بلا خطط للانسحاب المنظم سوى الهروب، وأخذوا السيارات وهربوا بها، وتركوا المعدات حتى بلا تدمير حتى لا يستفيد منها العدو.

ولكنهم تركوها للعدو غنيمة باردة، والمهم هو نجاة قواد الهزيمة.

وبعد ذلك سمعنا من يتبجح ويقول إنه نصر ،فضياع القدس والجولان وسيناء والضفة وغزة على يد حفنة من الصهاينة في ٦ ساعات ثم يكون نصراً كيف هذا.

ذلك بأن هذه المأساة لم تُسقط هذه الأنظمة، وخرج الناس في الشوارع مدفوعين ليصفقوا لقواد النكبة، فحقًا كان هذا الجيل هو جيل الهزيمة، فالقواد كانت قلوبهم مشغولة بالغانيات والفنانات فجاءت الهزيمة.

ولكن أين العلماء في هذه الفترة لم يكن لهم أي مكان على الساحة، فالعلماء الربانيون، كانوا في السجون، والأفواه مكبلة لا يستطيع إنسان أن يتكلم، وكانت المساجد خاوية من المصلين وكان حال الوعاظ في المساجد يثير العجب من الموضوعات التي كانت تتناولها مواعظهم في هذه الأيام فكانت الهزيمة ووصمة العار لحقت بالجميع.



أسباب الهزيمة

فلابد من أن نحلل أسباب هذه الهزائم حتى نأخذ العبر والعظات من هذه الأحداث.

فإذا حمل القائد المسئولية وحده عن الهزائم، فهذا تسطيح للأمر، إلا إذا خان هذا القائد، فهنا لا فائدة من التحليل ولا الدراسة. فالقائد هو عينة من المجتمع يُعبر عن حال هذا المجتمع الذي وقعت فيه الهزيمة، فهو ابن لهذا المجتمع، وإن كان له دور أكبر من المعركة ويتحمل معظم هذا العبء إلا أن الجميع معه شركاء فأول هذه الدروس أن الهزيمة لا تُلقى على كاهل شخص واحد فقط ولا يتحملها شخص واحد مهما كان دوره.

إلا أن الملاحظ في كل هذه النكبات أن لها سمة أساسية وهو فساد واستبداد الملوك، والأمراء، وضياع العلماء، وجهل القواد، وترف الرعية.

ففي كل هذه الحالات رأينا أن الحاكم كان مستبداً يأمر فيُطاع لا شورى عنده ولا قيمة لأي رأي للآخر، فهو مبعوث العناية الإلهية، وهو في واقع الأمر آخر إنسان يصلح لهذا المكان، فتجد حوله بطانة السوء، فهو ضعيف لا يستطيع أن يأتي بمن هو أعلم منه أو أقوى منه، حتى لاينازعوه العرش، وعندها يكون فساد الوزراء.

والعلماء كما رأينا إما نوعية ساكنة لا تتكلم وتؤثر السلامة، بل البعض منهم يزين للأمراء أعمالهم نظير منصب دنيوي أو نظير مكانة لأصحاب مذهبه، ولا تجد للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صوتًا ولا يؤدي أي منهم دوراً يُرضى به الله ولكن يرضي الأمراء، وفي أحسن الأحوال نجد بعض هؤلاء العلماء متعصبين إلى مذهبهم حتى ولو وقع الشقاق والفرقة بين جمهور المسلمين.

وحال القواد لا يخرج عن حال باقي الأمة في هذه النكبات أهل الثقة والجهل أو فسادهم بلا خطط حقيقية ولا تدريب، ولا تثقيف ولا إيمان ولا شيء من صفات القواد الحقيقيين، لذا كان الفرار من المعارك، هو شعار معتبر عند هؤلاء القواد، وهم عينة من هذا المجتمع، فمن أين تأتي الثمرة الطيبة من الشجرة الخبيثة، فهم أبناء لهذه الأجيال وهذا ما جعلني أسميها باسم الجيل، ولم أسميها باسم القائد، أو باسم عالم، ولكن الهزيمة تكتب باسم الجيل كله، فأين كان الناس في فترة الحملات الصليبية عندما جاءت، كانوا في لهو وترف.

وكيف كان حال المساجد عندها، وحال الفقراء وعطف الأغنياء والأمانة والحقوق والعلاقات الاجتماعية، والتواد والتراحم كل هذه الأشياء نجدها منعدمة عند الهزيمة، ونجد مكانها الأنانية والذاتية والشح والجبن وفساد الأخلاق وقلة التوابين والمتطهرين، وأكل الحرام، وعدم التورع عنه واستحلال المحرمات، والسعي وراء الشهوات، والغفلة عن الآخرة وحب الحياة وكراهية الموت هذه هي أهم صفات جيل الهزيمة.



جيل التمحيص

لا تنقلب الهزيمة إلى نصر مباشرة، وخصوصًا في الأحداث الجسام والمحن الكبرى فالذين يدخلون الغزو ويذوقوا العار والهزيمة ليسوا هم الذين يخرجون الغزو، ويذوقون النصر فهذا جيل وهذا جيل، ونحن هنا لا نتحدث عن معركة ولكن عن الحرب، وعن انقلاب جذري في الموازين، وجيل النصر لا يأتي بعصا سحرية، وليس بمجرد أن يأتي إليهم قائد فذ ينتهي الموضوع، ولكن التمحيص هو عملية مخاض صعبة تحتاج إلى عملية إصلاح طويلة في كل المجالات، ورجال يتحملون المسئولية ويُبتلون ويتمحصون ثم بعد ذلك يأتي نصر الله.

وذلك لقوله تعالي: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ (٢١٤)﴾[١].

وإذا توقفنا عند جيلين من أجيال النصر، مثلاً جيل اليرموك والقادسية، وجيل صلاح الدين، فلا نستطيع أن نمر عندهم مرور الكرام، كأنهم بُعثوا بغير تعب ولا إعداد ولا ابتلاءات ولا تمحيص لهذه الأجيال.

فجيل القادسية هو نتاج عمل شاق وإعداد من خير البرية الرسول ﷺ، ومات الرسول ولم يحقق هذا الجيل أي انتصار كبير، وجاء أبو بكر وفي نهاية حياته وفي بداية عهد عمر توالت الفتوح وظهر عندها جيل النصر، فبعد حوالي خمس وعشرين سنة من الدروس الطويلة ومن المعارك الكثيرة والإعداد والاستعداد جاء النصر على يد القائد سعد ابن أبي

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٤ .

وقاص، والجميع كان صالحًا لهذه المهمة، حتى إن سيدنا عمر مكث فترة وهو متحير من يختار لهذه المهمة، فهذا هو جيل النصر كل الجيل على نفس المستوى من الكفاءة والإيمان والصبر وحُسْن الأداء، وعندما نتحدث عن جيل صلاح الدين فهو أيضًا نتاج جهد حوالي مائة عام، فهو ثمرة من ثمار جيل الاختبار والتمحيص والإستعداد.

لذا سنبدأ بالحديث عن جيل القادسية لنري كيف تم الإستعداد لهذه المعارك الكبرى وهذه الانتصارات العظيمة، وكذلك ندرس جيل صلاح الدين كيف نشأ بعد الانهزام، والجو المحيط بهذا الجيل وطرق تربيته وإعداده، دور الناس والعلماء والقواد في هذه المعارك وقبلها، وحتى نستطيع أن نأخذ ما يناسب هذا الجيل، من طرق إعداد حتى نستطيع أن نبني جيلاً قادر على إعادة دولة الإسلام إلى ما كانت عليه، وتحرير بيت المقدس من الصهاينة كما فعل الأجداد من قبل بدماء الشهداء ومداد العلماء.



جيل مدرسة النبوة

حقًا لم تشهد البشرية جيلاً أفضل من هذا الجيل، ولم تشهد البشرية جيلاً تحمل مثل ما تحمل هذا الجيل، من تمحيص وابتلاءات وتعلم على يد رسول الله ﷺ، فخرج منهم خير أمة أخرجت للناس، ثمار حبهم لله، فحملوا الأمانة وسادوا العالم وحملوا مصابيح النور لهداية الأرض، وبلّغوا عن رسول الله ﷺ الدين الإسلامي، فكانوا خير دعاة للإسلام وخير مجاهدين في سبيل الله، وهم بالفعل لنا الأسوة الحسنة، مدحهم الله سبحانه وتعالى في عدة مواطن وأنزل فيهم قرآن يتلى إلى يوم القيامة.

فقال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾(١).

وهذا الجيل لم يذوق طعم الانتصارات إلا بعد طول عناء فكان أول نصر كبير له في معركة القادسية واليرموك، وبهما تم تحطيم دولتي الشر في العالم الفرس والروم.

وصدق رسول الله ﷺ عندما وعدهم بذلك في أحلك الفترات وأشدها ورسول الله محاصر يوم الخندق وهو يحفر الخندق مع أصحابه والخوف الشديد من عدد قادم بقوة لإنهاء الوجود الإسلامي واهلاك المسلمين، فقال ﷺ: «ستفتح روميه بعد قسطنطينية»(٢).

فلم يكن أحد يصدق هذا الأمر أبدًا إلا أن تلاميذ الرسول صدقوا واستبشروا بهذا الوعد فالجميع يعلم أنه ﷺ لا ينطق عن الهوى، والرسول يتكلم عن جيل النصر لا يتحدث عن جيل الهزائم.

وجاء النصر بعد ذلك بعد موت الرسول ﷺ فلم يستطع أحد أن

---

(١) سورة الفتح:، الآية: ٢٩ .

(٢) رواه أحمد.

يوقفهم بعدها أبداً، وبلغت دولة الإسلام مشارق الأرض ومغاربها في بضع سنين حتى إن المؤرخين يقولون لم يشهد العالم انتشار دولة بمثل هذه السرعة ولم تشهد البشرية انقلاباً مثل هذا الذي حدث في هذا الزمن القصير من حفاة عراة متقاتلين على لا شيء إلى سادة العالم.

لذا سنبدأ بدراسة هذا الجيل كيف أعدَّه الرسول ﷺ ليكون لنا طريقًا نسير على دربه بنفس الخطوات حتى نستطيع أن نُخرج جيل النصر الموعود. فبدأ الرسول ﷺ مع أصحابه في المرحلة المكية بناء الإنسان المسلم عقيدة وسلوكًا وأخلاقًا وقيمًا من تضحية وفداء وكرم وطاعة، وعندما جاء الأمر بالهجرة وهي أصعب شيء خلفهم على الإنسان لم يتأخر أحد وتركوا كل شيء وهاجروا بلا مال.

حتى أن صهيب ينزل فيه قرآن وكان غنيًا وأبى الكفار أن يتركوه يخرج بماله، وقالوا له جئتنا صعلوكًا فتخرج صعلوكًا، فقال أخرج بلا مال.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾(١).

وقال له الرسول ﷺ عندما جاء صهيب إلى المدينة وأخبره جبريل بهذا الحوار مع الكفار قال له ﷺ ربح البيع يا صهيب. والجميع أثبت صدق الإيمان في هذه الهجرة وإن هذه النفوس باعت الدنيا واشترت ما عند الله سلعة الله الغالية ألا وهي الجنة.

وبعد مرحلة البناء والاستعداد جاءت مرحلة أخرى، مرحلة التدريب العملي استعدادًا للتمحيص والابتلاء والمعارك، فجاء الأمر من الله في قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾(٢)، فأرسل الرسول ﷺ عدة سرايا إلى عدة أماكن مختلفة حتى جاء اللقاء الأول مع الكفار في غزوة بدر.

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١١١.
(٢) سورة الحج، الآية: ٣٩.

غـزوة بـدر

عندما علم رسول الله ﷺ بخروج قافلة كبيرة لقريش قادمة من الشام في طريقها إلى مكة، وكان فيها كل أموال قريش وجدها ﷺ فرصة للثأر من قريش وإعادة بعض الأموال التي سرقوها من المسلمين من قبل.

وخرج الرسول ﷺ لهم وكان معه ثلثمائة رجل، فما كان من أبي سفيان إلا أنه أرسل لقريش طالبًا منهم لخروج لنجدة أموالهم عندما علم بخروج محمد ﷺ لملاقاته، وعندها أعد الكفار العدة للخروج، وخروجها في جيش قوامه حوالي ألف رجل معه كل معدات القتال، واستطاع أبو سفيان أن يهرب بالقافلة من رسول الله وصحابته، وسلك طريق البحر وأرسل إلى قريش بالأمر إلا ان رؤوس الكفر أبوا أن يرجعوا بدون ملاقاة الرسول ﷺ، حتى أنا أبا جهل قال لن نرجع حتى نذبح ونشرب الخمور وتسمع بنا العرب.

وقال تعالى فيهم: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾(١).

والتقى الجمعان قرب ماء بدر وهنا استشار الرسول ﷺ الصحابة أيرجع أم يلاقي القوم فأصر الجميع على القتال، وقالوا للرسول «أذهب أنت وربك فإنا معك مقاتلون» وكان الجميع على قلب رجل واحد.

وقال تعالى في هذا الموقف: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾(٢).

---

(١) سورة الأنفال، الآية ٤٧.
(٢) سورة الأنفال، الآية ٧.

وعندها بدأ الشيطان يوسوس في صدور المؤمنين ويخوفهم بأن عدد كفار قريش كبير وعدد المسلمين قليل، وليس معكم عدة كافية، هم معهم العداد الكبير واشتكى الجميع من قلة الماء وصعوبة المشي على هذه الأرض وفرة الغبار، وعندها جاءت بشائر النصر والمدد من الله جاءت كلمة التثبيت، فأنزل الله عليهم النعاس وهو النوم الخفيف لثوان ثم بعد ذلك جاء المطر ليشربوا ويتطهروا وأيضًا لتثبيت الأرض من تحت أقدامهم.

فقال الله تعالى: ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ ﴾(١).

وابتداء القتال وكانت المؤازرة وانتهت بمصرع الغابرين من الكفار على أيدي المسلمين، فارتفعت الروح المعنوية للمسلمين.

وكان الرسول ﷺ في عريشه يدعو الله بالنصر، ويقول اللهم أنجز لي وعدك، ثم خرج رسول الله ﷺ وهو يقول: ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ ﴾(٢).

وقال ﷺ «هذا جبريل أخذ برأسي فرسه عليه أداة الحرب»(٣).

وكانت البشرى بالنصر ونزلت الملائكة تحارب مع المسلمين مع حزب الله فيقول المولى عزَّ وَجَلَّ فيهم: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ ﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ﴾(٥).

وجمع المسلمون الغنائم، وجمع الرسول الكفار وأمر بوضعهم في حفرة كبيرة، وناداهم بالاسم هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقًا فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقًا.

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ١١.
(٢) سورة القمر، الآية ٤٥.
(٣) رواه البخاري.
(٤) سورة الأنفال، الآية ٩.
(٥) سورة الأنفال، الآية: ١٠.

والدروس المستفادة من هذه الغزوة:

- الكثرة لا تغلب القلة المؤمنة أبداً.
- الله هو المولى، وهو النصير، فنعم المولى ونعم النصير.
- إياكم والفرار من ملاقاة العدو أبداً مهما حدث فهي من أكبر الكبائر لما له من أثر في خلخلة الجيوش، وهذا ما حدث يوم أحد فكان الدرس العملي على هذه النصيحة في سورة الأنفال بعد غزوة بدر. قال تعالى للمسلمين محذراً إياهم:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾﴾[1].

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ١٥.

غـزوة أحـد

بعد أن منيت قريش بالهزيمة في بدر أعدت العدة للثأر من المسلمين، فخرجوا لملاقاة المسلمين وكانوا حوالي ثلاثة آلاف رجل، وما أن علم الرسول ﷺ بهم حتى نادى داعي الجهاد واجتمع الصحابة مع الرسول، وكان من رأي الرسول أن يبقوا في المدينة ويدافعوا من داخلها، ولكن بعض الصحابة ألحوا في الخروج لملاقاة العدو في الخارج، فنزل الرسول ﷺ على رأي الأغلبية، وهو كاره لهذا الأمر، وبعد أن لبس الرسول لباس الحرب رجع المسلمون إلى رأى الرسول فقال لهم ﷺ «ما كان لنبي أن يصنع لأمة ثم يرجع»[١].

وحتى لايصاب هذاالجمع بالغرور قال لهم ﷺ «لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية فإذا لقيتموه فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف»[٢].

وفي الطريق إلى أحد مكان تجمع الكفار انسحب رأس النفاق عبد الله بن أبي بن سلول بثلث الجيش، وقالوا استهزاءً لو نعلم قتالاً لاتبعناكم. وعندما وصل النبي إلى مكان المعركة وضع الجبل خلف ظهر الجيش، وأمر الرماة على رأس الجبل، وقال لهم لا تنزلوا من أماكنيكم أبداً حتى ولو انتصرنا وشدد عليهم هذا الأمر، وبدأت المعركة وكان النصر في أولها للمسلمين، وانسحبت قريش إلا إن خالد بن الوليد وكان كافراً يومها لمح أن الرماة نزلوا من على الجبل فما كان منه إلا أن دار بالجيش وعاد مرة

(١) رواه أحمد.
(٢) رواه البخاري.

أخرى، وهنا خلخلت الصفوف وقتل المشركون من المسلمين الكثير، واستشهد حمزة عم النبي ومصعب بن عمير والكثير من خيرة الصحابة ﷺ.

وجاءت الطامة الكبرى وانتشرت إشاعة بين المسلمين بأن الرسول ﷺ قد قتل وعندها فر الكثير ورجع معظم المسلمين عن القتال وعم اليأس الجميع، حتى أن الرسول لم يبق معه إلا حوالي اثنا عشر رجلاً يدافعون عنه، وكُسرت رباعية الرسول ﷺ وأبلى المدافعون بلاءً حسنًا، وحتى أم عمارة راحت تدافع عن النبي ﷺ بضراوة وتحمل السيف وتضرب عن اليمين وعن الشمال ويقول لها الرسول ﷺ تمني عليَّ يا أم عمارة فتقول أن أرافقك في الجنة يا رسول الله، فيدعو لها الرسول ﷺ.

وسعد بن أبي وقاص يضرب الكفار بسهمه، وأبو دجانة يترس بظهره في رسول الله ﷺ يتلقى عنه السهام والضربات.

وبعد أن توقف القتال وقف أبو سفيان ينادي أفيكم محمد أفيكم أبو بكر أفيكم عمر، ثم قال أعلى هبل فقال ﷺ قولوا له الله أعلى وأجل، قال أبو سفيان العزة لنا قال الرسول ﷺ قولوا له الله مولانا ولا مولى لكم فقال أبو سفيان سواءً بسواء فقال لهم الرسول قولوا له قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار فقال أبو سفيان موعدنا في بدر القادم فقالوا له نعم. وقال أبو طلحة بعد ذلك: «غشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم أحد، فجعل سيفي يسقط من يدي»(١).

ورجع الرسول ﷺ إلى المدينة بعد أن دفن الشهداء نادى منادٍ أن كل من كان في المعركة فليخرج لقد نبا إلى علمه ﷺ أن أبا سفيان قد عاد مرة أخرى وخرج الجميع في جراحهم لملاقاة الكفار، وقال تعالى فيهم:

(١) رواه الترمذي.

﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) ﴾[١] .

ولكن أبا سفيان رجع إلى مكة بعد أن علم بخروج محمد وأصحابه لملاقاة الكفار وعلم أن عندهم عزيمة على القتال والثأر لقتلاهم، فرجع، وكانت هذه الدروس المستفادة من الغزوة:

أولاً: الهزيمة بإذن الله لعدة أسباب وبها عدة دروس لهذا الجيل. فقال تعالى: ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ (١٦٦) وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا ﴾[٢] .

ثانياً: لا مكان للمنافقين في الحروب ﴿ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاتَّبَعْنَاكُمْ ﴾[٣] .

ثالثاً: أن يصبكم القرح والألم فكذلك الأعداء، فقال تعالى: ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ﴾[٤] .

رابعاً: التمحيص والاختبار للمؤمن، والغرور والخزي على الكافرين ﴿ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ (١٤١) ﴾[٥] .

خامساً: الألم مشترك بين الطرفين، قال تعالى: ﴿ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ﴾[٦]، فهذه هي الاختبارات والتمحيص والابتلاءات لصقل الرجال.

سادساً: إذا مات القائد فلا تهتز القاعدة، فالقائد بشر حتى ولو كان الرسول فالجميع يحارب للدين، والدين باق. قال تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ﴾[٧] .

سابعاً: طاعة القائد واجبة؛ فالنصر كان بأيدي المؤمنين، وبعدها عصى الرماة الأوامر فكانت الهزيمة، بسبب عدم الطاعة.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٧٣ .
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٦٦ ، ١٦٧ .
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٦٧ .
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٤٠ .
(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٤١ .
(٦) سورة النساء، الآية: ١٠٤ .
(٧) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤ .

فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ﴾[1].

ثامنًا: منزلة الشهداء عند الله عظيمة؛ فهي الجنة أعلى عليين مع النبيين، فهم عظماء الدنيا والآخرة أحياء غير أموات.

فقال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾[2].

تاسعًا: الشورى أمر لازم؛ فمع أن الشورى كانت سبب الهزيمة لأنها جرت عكس رأى الرسول ﷺ إلا إن الرسول أصر على أن يكون الحالي رأي الشورة وخرج وكانت الهزيمة ولكن أبدًا ولابد من الشورى لا استبداد بالرأي في جيل النصر.

فقال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾[3].

وهذه هي دروس غزوة أحد لنا جميعًا وخاصة جيل النصر.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٢.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٦٩.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

غــزوة الخنــدق

في العام الخامس من الهجرة أعدت قريش العدة وجمعت القبائل للقضاء على محمد ﷺ ومن معه، وخرج على رأس هذا الجيش أبو سفيان. وعندما علم الرسول بخروج هذا الجيش استشار أصحابه ماذا يفعل، وأشار سلمان الفارسي على الرسول بحفر الخندق حول المدينة وكان أهل فارس يفعلون هذا الأمر إذا ءحزنهم أمر وقدم عليهم غزو كبير العدد والعدة.

واستحسن الجميع هذا الأمر، وهموا بالعمل الدؤوب، والرسول معهم وفي هذه الساعات العصيبة يبشرهم الرسول ﷺ بكنوز كسرى وفتح روميه وقسطنطينية والجميع يتعجب، ولكن الرسول ﷺ لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى. فهو يعرف حال رجاله وإلى أي مرحلة وصل هذا الجيل فالثمرة حان وقت قطافوها.

وعندما وصلت جيوش الكفر إلى مشارف المدينة أنزعجت من هذا الخندق وترصوا أمامه، وتعجبوا من أمرة فلم يعرفوا له مثيلاً. وبعد ذلك جاءت مرحلة تنقية الصفوف والغربلة وخروج المنافقين.

فقال تعالى فيهم: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ ﴾(١).

ثم انسحبوا من الصفوف ودعوا من معهم للانسحاب.

﴿ وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ ﴾(٢).

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ١٢.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ١٣.

ولكن المؤمنين كان لهم رأي آخر.

فقال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾[١] [الأحزاب: ٢٢].

وبلغت القلوب الحناجر وزاغت الأبصار، والمدينة محاصرة ولكن الصفوف تطهرت من الخيانة ومن المنافقين، فلا يأتي نصر بخونة ولا بمنافقين ولا بمعاهدات مع الكفار ولا مع اليهود الذين ينقضون عهدهم في كل مرة.

فما كان من اليهود إلا أن اختلفوا مرة أخرى مع كفار قريش، خلى بينهم رجل كان قد دخل في الإسلام موضحًا ولكنه أخفى إسلامه وذهب إلى اليهود وأوقع بينهم وبين قريش، وكانت هذه الحيلة موفقة فرجعوا عن اتفاقهم مع قريش بالسماح لهم بمهاجمة جيش المسلمين من الخلف.

ثم بعد ذلك جاء النصر للمؤمنين الذين نجحوا في هذا الاختبار، وصبروا،

فيقول المولى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾﴾[٢] [الأحزاب: ٩].

فجاء نصر الله وأرسل الله رياحًا شديدة أخذت خيام الكفار وزلزلت الصفوف، فولوا مدبرين وكان على رأسهم أبو سفيان. ورجع الرسول إلى اليهود وأخذ أموالهم ونساءهم وقتل رجالهم جزاء على هذه الخيانة العظمى التي ارتكبوها بحق المسلمين.



(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢٢.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٩.

غــزوة مؤتــة

كانت جيوش الروم تحتل معظم ديار العرب في شمال الجزيرة العربية، وأرسل الرسول ﷺ لبعض قبائل العرب بدعوة الإسلام، فصدوا عن هذه الدعوة وقتلوا رسل الرسول ﷺ، فما كان من الرسول إلا أن أعد لهم جيشاً مؤلفًا من ثلاث آلاف رجل وأرسلهم إلى الشام، وعلى رأسهم زيد بن حارثة، وخرج هذا الجيش، فما كان من الروم إلا أن أعدوا جيشًا عظيمًا به حوالي مائتان وخمسون ألف مقاتل للقاء هذا الجيش، وبدأت المعركة واستشهد زيد فسلم الراية لجعفر بن أبي طالب، واستشهد جعفر ثم حمل الراية عبد الله بن رواحة، ولكن سرعان ما استشهد هو الآخر، وأبلى المؤمنون بلاءً حسنًا في هذا القتال، وعندها حمل الراية خالد بن الوليد وعلم أن هذا الجيش بهذه الطريقة سوف يُهلك بهذه الطريقة فأجرى أكبر مناورة عرفها الناس في حينها وبدّل الصفوف. وناوش بالجيش ثم سرعان ما انسحب بهذا الجيش، وأخبر الرسول الصحابة عن الموقف في مؤتة، وعندما رجع خالد بالجيش قيل لهم الفرار ولكن الرسول قال بل الكرار إن شاء الله.

والدرس المستفاد هنا الأخذ بالأسباب وعدم إلقاء الناس في التهلكة لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾[1].



(١) سورة البقرة، الآية ١٩٥.

غـزوة حنيـن

بعد أن فتح الرسول ﷺ مكة وهزم كفار قريش، ودخل الإسلام من دخل أعد الرسول العدة للخروج لتأديب قبيلة ثقيف في الطائف، وخرج الناس في أبهى عدة وعدد، وقال بعضهم لن نهزم من قلة وأصيب الكثير بالغرور واعتمدوا على الأسباب.

وفي الطريق وقرب الفجر انقض عليهم العدو وكان متربصًا بهم في الطريق في ممر ضيق، وألقوا عليهم السهام وزلزلت الصفوف، وفر الناس من المكان إلا الرسول ﷺ وقلة معه وأخذ ﷺ ينادي أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب، وسرعان ما عاد الناس إلى رشدهم وشدوا على الأعداء فكان لهم النصر، وفرَّ العدو.

ويقول عنهم المولى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾(١).

فالغرور سلاح قاتل لأي جيش، والتواضع سلاح فتاك في يد أي جيش. واللجوء بالقلب لله واليقين بأن النصر من عند الله وحده وهو طريق النصر الوحيد.

(١) سورة التوبة، الآية: ٢٥.

غـزوة تبـوك

وفي صيف شديد الحرارة أمر الرسول ﷺ الجميع بالاستعداد للخروج، وأمرهم ﷺ بالإستعداد، فالسفر طويل، والزاد كان قليلاً، وكان هناك نقص شديد في الإبل والخيول والبغال لدرجة إن الثلاثة من المقاتلين كانوا يتبادلون على الدابة الواحدة، ولذي سمى جيش العسرة وبذل سيدنا عثمان بن عفان الكثير في تجهيز هذا الجيش، وهناك من تخلف عن هذه الغزوة سكوناً للظل والماء الرطب، وقصة تخلفهم جاء ذكرها في القرآن.

وخرج الناس إلى أطراف الجزيرة، ورجعوا مرة أخرى بلا أي قتال، وإذا أردنا أن نعرف مخزى هذه الغزوة، فهي بتعبير القواد الآن مناورة واسعة أو مشروع تعبوي للاستعداد لمواجهة العدو القادم، الفرس والروم، فكانت هذه الغزوة مشروعًا استكشافيًا لموقع العدو القادم وتدريب على قوة التحمل فالشمس أوشكت أن تشرق وتُعلن عن ولادة جيل النصر والرسول كان يعلم هذا، وقد كان في عهد أبي بكر وعمر ظهور مثل هذا الجيل بعد سنوات قليلة من هذه الغزوة.



ثناء الله على هذا الجيل

وهذا الجيل شهد الله له بالإيمان ووعد الكثير منهم بالجنة فنعم الجيل هذا الجيل.

وكان لهم شرف هدم أكبر امبراطوريات الشر في هذا الوقت الفرس والروم، وأيضًا بتبليغ دين الله في كل مكان على وجه الأرض، وهذا لم يأت من فراغ، بل كما رأينا جاء الاستعداد.

وهذا الجيل مدحه الله وأثنى عليه في عدة آيات وعلى لسان الرسول ﷺ، قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾(١) [الفتح: ١٨].

وهذه الآيات في صلح الحديبية عندما بايع الجميع على الموت في سبيل الله فعلم الله فيهم صدق هذه البيعة.

وقال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾(٢) [الفتح: ٢٩].

وقال ﷺ في أهل بدر، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال، قال ﷺ: «وما يدريك لعل الله أطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»(٣).

وقبل أن يموت الرسول ﷺ اطمأن على الجيش الذي أرسله لأخذ ثأر شهداء مؤتة، وجعل على رأس هذا الجيش أسامة بن زيد وكان فتى

---

(١) سورة الفتح، الآية: ١٨.
(٢) سورة الفتح، الآية: ٢٩.
(٣) من حديث رواه البخاري ومسلم.

صغيراً، وكان في هذا الجيش كبار الصحابة ولكنه الدرس الأخير من رسول الله ﷺ ففي جيل النصر الكل سواء والقيادة للأصلح، وليس للأكبر ولا للأعلى منزلة، وكان أيضًا معبراً عن حال هذا الجيل، وحال الشباب في هذا الجيل فكانوا حقًا جيل النصر. ومات الرسول ﷺ وهو راضٍ عن هذا الجيل ومستبشراً بنصر الله. فجزا الله رسولنا عنّا خير الجزاء، لقد أدى الأمانة وبلغ الرسالة وتركها على المحجة البيضاء ليلُها كنهارها.



ارهاصات النصر

ثم جاءت مقدمة النصر وذلك من خلال بداية المواجهات الكبرى مع الفرس والروم والانتصار عليهم.

فبعد أن انتهى الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه من الإجهاز على المرتدين، وأعاد الجزيرة العربية إلى حظيرة الإسلام.

وبعدها أعد الجيوش لملاقاة الروم في الشام، وقسمها إلى أربعة جيوش بقيادة يزيد ابن أبي سفيان، وخالد بن سعيد، وعكرمة بن أبي جهل احتياطي لهذه الجيوش وجيش بقيادة شرحبيل بن حسنة وجيش بقيادة أبو عبيدة بن الجراح، وأرسل جيشًا آخر بقيادة خالد بن الوليد إلى العراق ليلتقي مع الفرس الذين كانوا يحتلون العراق، ولمناصرة هذا الرجل الذي قال عنه أبو بكر من هذا الذي يأتينا خبره ولا نعرف بنسبه، وانطلقت هذه الجيوش لتؤدي ما أمرت به وسنرى كيف تم لهذه الجيوش تحطيم أسطورة الفرس والروم ولكن هذا الأمر لم يأت لهم بيسر ولكن بعد طول عناء.



المثنى بن حارثة الشيباني

فارس من قواد العرب كان يعيش في العراق أسلم وبايع الرسول ثم بعد ذلك أعد جيشًا من قبيلته، وخرج ليؤرق منام الفرس، ويناوش الفرس في عقر دارهم، وحقق عليهم انتصارات هائلة كان لها صدى في كل الجزيرة العربية، وزلزل عرش الطاوس وكسرى، وضربهم ضربات موجعة فكانت هذه المرحلة، وهي مرحلة تسخين للجبهة أو حرب استنزاف كما نسميها نحن في هذه الأيام، وانضم بعد ذلك المثنى إلى خالد بن الوليد وكان مساعداً له، وفعل الأفاعيل مع خالد في الفرس، وأخبر خالد عن كل ما يعرفه عن الفرس وكان نعم المساعد هو، وعندما ذهب خالد إلى الشام بعد الانتصارات على الفرس التي حققها مع المثنى بن حارثة، وبعدها انسحب المثنى بالجيش الإسلامي من العراق إلى حدود الجزيرة بعد أن واجهه الفرس بالجيوش العظيمة ثم بعد ذلك شارك مع أبي عبيدة الثقفي الذي أرسله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لمحاربة الروم، وعندما مات أبو عبيدة تولى المثنى القيادة مرة أخرى وأذاق الفرس كالعادة الهزيمة تلو الهزيمة، وكان في انتظار سعد بن أبي وقاص ليشارك معه في فتح المدائن إلا أنه مات متأثراً بجرح أصيب به في معركة من المعارك التي شارك فيها بين المسلمين والفرس.



خالد بن الوليد

من أشهر قواد العرب في الجاهلية وعرف عنه أنه أزكى وأسرع من يقوم بالمناورات بالجيوش في المعارك، وكان صاحب الخدعة والخطة التي هزم بسببها المسلمون في غزوة أحد.

ولم يدخل في الإسلام إلا بعد صلح الحديبية حيث ذهب هائمًا في الصحراء حتى لقى عمرو بن العاص في طريقه إلى المدينة ليعلن إسلامه، فشرح الله صدره للإسلام، ومن يومها وهو سيف الإسلام وفرح به الرسول ﷺ عندما دخل للإسلام وقال يا خالد ما كان هذا الأمر ليخفى على مثلك. وقاتل مع المسلمين في فتح مكة، وفي يوم حنين وفي كل المشاهد مع رسول الله ﷺ، وذهب يوم مؤتة وأبلى بلاءً حسنًا وأنقذ جيش المسلمين من الفناء بعد أن استشهد كل قواد الحملة، زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحه، وتقهقر بالجيش بعد أن أجرى أكبر مناورة انسحاب شهدها العرب في هذا العصر، وأثنى الرسول عليه، وقال أنه سهم من سهام الله، وبعد موت الرسول ﷺ كان لخالد الدور الأكبر في حروب الردة، وخصوصًا مع مسليمة الكذاب ويوم حديقة الموت.

ثم بعد ذلك أمره أبو بكر بالذهاب إلى فارس لفتح الجبهة الفارسية، وأبلى فيها بلاءً حسنًا وكان نعم القائد فلم يُهزم في معركة قط عدو مع قلة عدد جنوده أمام جيوش الفرس وأيضًا أمام جيوش الروم.

وبعدها أرسل له أبو بكر الصديق أن يأخذ نصف جيش المسلمين في العراق ويذهب به إلى جبهة الروم بعد أن استعصت على المسلمين وقال أبو بكر « والله لأنسين الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد ».

وبعد أن وصلت لخالد رسالة أبي بكر لم يتوان عن الأمر وأعد العدة مسرعًا، وقطع الصحراء في زمن قصير في شبه معجزة، قطع الصحراء من طريق قصير لا ماء فيه، غير أنه ملأ بطون الجمال ماءً وجعلها طعامًا وشرابًا حتى وصل إلى اليرموك بسرعة رهيبة. وتولى خالد قيادة جيش المسلمين في هذه المعركة حتى كان له النصر على الروم فكانت نهاية دولة الشر الأولى في العالم، وبعدها جاء الأمر لخالد من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بترك القيادة لأبي عبيدة بن الجراح فنزل على الأمر مباشرة مع أنه كان قائد لهذه الانتصارات ولكنه يقول ليبين لنا قدر المحبة بين جيل النصر ويضرب لنا مثالاً في الطاعة العمياء لولي الأمر، فقال خالد «لقد ولى عليكم أبي عبيدة بن الجراح **أمين هذه الأمة لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول، قال أبو عبيدة يقول إن خالد سهم من سهام الله**»[1].

واستكمل خالد الجهاد في الشام تحت قيادة أبي عبيدة بن الجراح حتى جاءه الأجل وهو على فراشه ويقول لا يوجد في جسدي موضع إلا وبه رمية رمح أو طعنة سيف ثم أموت في فراشي، ما نامت أعين الجبناء، وقال النبي ﷺ: «من سأل الله الشهادة من قلبه صادقًا بلَّغَهُ الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه»[2].

معارك العراق:

سار خالد بجيشه المؤلف من حوالي ثمانية آلاف مقاتل إلى العراق والتقى بالمثنى بن حارثة واستعلم منه عن البلاد وحالها وعن الفرس وطريقة حربهم ثم بنى استراتيجية لملاقاة الفرس بعد أن علم بكثرة عددهم واستبسالهم في الحروب، وكانت هذه الاستراتيجية قائمة على مباغته

---

(١) صحيح الجامع.
(٢) رواه الترمذي.

العدو في القتال، وجعل الصحراء خلف قواته حتى تستطيع قواته الانسحاب والمناورة إذا أراد ذلك، فإن العرب أعرف الناس بحرب الصحراء وبرعوا فيها وحقق خالد بهذه الاستراتيجية نجاحاً كبيراً في كل المنازلات مع الفرس وبدأ القتال مع الفرس.

[١] معركة ذات السلاسل: صفر ١٢ هـ:

وكانت هذه من أهم المعارك مع الفرس لأنها كانت نفسية قبل أن تكون عسكرية، فكانت أول لقاء حقيقي مع الفرس ورُبط جنود الفرس بالسلاسل حتى لا يفروا، وبدأ خالد المعركة بالمبارزة مع قائد الفرس وكان قد اتفق مع أصحابه على خيانة خالد والانقضاض على خالد لقتله إلا أن القعقاع بن عمر وهو رجل بألف رجل، كما سماه أبو بكر الصديق عندما طلب خالد المدد من أبي بكر فأرسل له هذا الرجل وقال له لك رجل بألف رجل، واستمر القتال حتى تمكن المسلمون من هزيمة الفرس وقتلوا منهم الكثير وقتل القعقاع رأس هذه المؤامرة بضربة واحدة.

[٢] معركة المدار: صفر ١٢ هـ:

أخذ الفرس ينظمون صفوفهم، وأرسلوا جيشًا سريعًا لملاقاة خالد واتبع المسلمون نفس الأسلوب وهو قتل القائد ثم الانقضاض السريع على الجيش وهو ما يسمى في هذا الوقت بحرب الصاعقة.

[٣] معركة الولجة: صفر ١٢ هـ:

ورتب الفرس جيوشاً عربية من قبائل العرب التي لم تكن أسلمت بعد، وجعل عليهم قائداً فارسيًا، ومعه جيش من الفرس، وقسم خالد جيشه إلى ثلاثة أقسام جيش في المواجهة، وجعل كماشتين خلف العدو وعلي جنبه حتى ظنَّ الفرس أن القتال لن ينتهي، وعندها شد خالد عليهم، ثم أخرج عليهم الكمائن ففروا من هول المفاجأة إلى الصحراء، ومات قائد الفرس عطشًا ومات الكثير منهم.

[٥] معركة اليس: ربيع الأول ١٢ هـ

وذهبت فلول العرب المهزومة إلى ملك فارس يحثوه على إرسال جيش معهم ليثأروا لهزيمتهم وأرسل ملكهم هذا الجيش، ومعهم قائد فارس واستبسل جيش المسلمين في هذه المعركة حتى هزموهم وطردوا الفرس، وقتلوا وأسروا منهم الكثير، حتى أن أبا بكر عندما جاءت له أنباء المعركة قال عجزت نساء المسلمين أن يلدن مثل خالد.

[٦] معركة الحيرة: ربيع الأول ١٢ هـ:

تقدم خالد صوب الحيرة عاصمة العراق ليستولي عليها وشعر الفرس والعرب بالقلق، فأطبق عليهم خالد الحصار ثم هاجمهم من كل جانب واقتحم المدينة، ودخل الحيرة وصلى صلاة الفاتحين ثماني ركعات لا يسلم فيها اعترافًا بفضل الله عليه وشكراً لله على هذه النعم.

وواصل خالد التقدم حتى وصل إلى الأنبار وتخوم الشام، وبعدها جاء الأمر لخالد بالذهاب لنجدة جيش المسلمين في الشام، فترك خالد المثنى بن حارثة مع نصف هذا الجيش، وعندما علمت الفرس بذهاب خالد وعندها بدأت المؤمرات على جنود الجيش في كل المحافظات وكذلك أعد الفرس العدة للقضاء على هذا الجيش الصغير فانسحب المثنى إلى أطراف الجزيرة منتظراً المدد من المدينة.



جيل النصر يقطف أولى الثمار في اليرموك

لبى خالد طلب الخليفة بالذهاب إلى الشام بنصف الجيش لأن جبهة الشام ضعفت ولم تستطع أن تفعل شيئًا بعد أن هزم جيش الروم جيش خالد بن سعيد، وبعدها تجمعت الجيوش الأربعة في اليرموك وتجمع أمامهم حوالي مائتان وأربعون ألف رجل.

وبعد وصول خالد مُسرعًا بعد أن قطع الصحراء كلها في أيام معدودات فكان كل جيش المسلمين حوالي ستة وثلاثون ألف رجل.

وجاء رجل إلى خالد يقول له ما أكثر الروم وما أقل المسلمين، فقال خالد ما أكثر المسلمين وأقل الروم، إنما تكثر الجنود بالنصر وتقل الجنود بالخذلان لا بعدد الرجال.

وقال عمرو بن العاص لخالد لقد حُصرت الروم ولا يأتي محصور بخير، وكان الجميع يريد أن يثأر لشهداء مؤتة، والجميع يعلم أنها معركة مصيرية وكان الروم يربطون أنفسهم بالسلاسل حتى لا يفروا من المعركة، وقتل من الروم حوالي مائة ألف ومن المسلمين ثلاث آلاف وبعد هذه المعركة لم يبق للروم أثر في قتال ضعف روحهم المعنوية ولم يقووا على قتال المسلمين ثانية.

إليك عينة من جيل النصر أبطال هذه المعركة، فيقول راوي هذه القصة وبينما أنا أمر على الجرحى إذ عكرمة بن أبي جهل جريح، يطلب الماء وعندما حضر الساقي إلى عكرمة لشرب. فقال أعطي جاري فإنه جريح أيضًا، ويقول راوي القصة مررت على عشرة على نفس الحالة والكل يقول جاري أولى مني حتى عدت إلى الأول ولم يشرب أحد منهم ومات

الجميع، فهذا هو جيل النصر يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة.

وقصة أخرى خالد قائد النصر يأتي إليه الأمر من عمر بن الخطاب بترك القيادة بعد كل هذه الانتصارات لأبي عبيدة بن الجراح، وينفذ الأمر وهو مسرور ويكون جندي مطيعًا في هذا الجيش، فهو يقاتل في سبيل الله لا يقاتل لسُمعة ولا لزعامة، فالجميع واحد والجميع قادة لا فرق بين قائد وغير قائد، فالقيادة عندهم تكليف وليست تشريف. وانطلق جيل النصر يحرر باقي بلاد الشام، وهرقل يودع دمشق ويقول الوداع يا دمشق وداع لا لقاء بعده.

باقي معارك العراق:

أرسل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب المدد إلى العراق وأمر جيش العراق بالعودة مرة أخرى من الشام، وبقى خالد مع أبي عبيدة بن الجراح في الشام. وجعل أبي عبيدة الثقفي أميرًا على هذا الجيش وكانت البداية غير موفقة.

[٧] معركة الجسر: شعبان ١٣ هـ:

وكان قائد هذا الجيش هو أبو عبيدة الثقفي، وكان معه المثنى بن حارثة وأعطاه النصيحة بألا يعبر الماء للفرس أبدًا، ولكنه كان قائدًا شجاعًا وتقدم على الجسر لملاقاة الفرس فما كان من الفرس إلا أن شدوا على الجيش، وعندما همَّ المسلمون بالإنسحاب بعد أن قتل هذا القائد جاء بعض الشباب الطائش وقطعوا الجسر على المسلمين، فكانت الكارثة وغرق الكثير من المسلمين ولكن المثنى تدارك الأمر وأصلح الجسر، وعبر منه الجيش المسلم بعد أن قتل حوالي أربعة آلاف مسلم في هذه المعركة.

[٨] معركة البويب: رمضان ١٣ هـ:

وفي هذه المعركة أخذ المسلمون ثأرهم لهزيمتهم في معركة الجسر، وتولى القيادة المثنى بن حارثة، وفي هذه المرة عبر الفرس الجسر وتمكن المثنى من قتل قادتهم وقتل من الفرس الكثير والكثير، وثأر للشهداء.

وبعدها أرسل لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب بضرورة القيام بعمل كبير ضد الفرس، وأجاب عمر نداء المثنى وأمر بالنداء للخروج وكان يريد أن يخرج على رأس هذا الجيش، إلا أن مجلس شورى عمر أشاروا عليه بأن لا يخرج فيهم، وكانت المشكلة الأكبر هي اختيار قائد لهذا الجيش فالجميع يصلح لهذه القيادة حتى وقع الاختيار على سعد بن أبي وقاص. قائد جيل النصر قائد القادسية.



قائد جيل النصر
سعد بن أبي وقاص

سعد بن أبي وقاص خال الرسول ﷺ من العشرة المبشرين بالجنة، كان رسول الله ﷺ يقول: «هذا خالي فليرني أحدكم خاله»(١).

وكان من أول سبعة دخلوا في الإسلام، ونزل فيه قرآن يُتلى إلي يوم القيامة فكان له قصة مع أمه، وكان براً بأمه ويحبها حباً جماً، وعندما أسلم قالت لا أكل الطعام أبداً حتى ترجع عن دينك هذا وذهب للرسول يسأله ماذا يفعل؟.

فقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾(٢).

حكم فاصل في هذه القضية هناك فرق بين الكفر والإيمان وأيضاً لا طاعة في معصية.

قال ﷺ: «لا طاعة في معصية إنما الطاعة في معروف»(٣) وهاجر سعد رضي الله عنه مع الرسول ﷺ وشهد معه كل الغزوات وفي يوم أحد، ينكشف المسلمون وسعد صامد يدافع عن الرسول، ويرمي سعد، ويقول ﷺ «ارم سعد فداك أبي وأمي»(٤). وكان سعد يفخر بهذا ويقول أنا الوحيد الذي فداه الرسول ﷺ بأبويه.

ودعا له الرسول ﷺ دعوة وقال: «اللهم سدد سهمه وأجب

---

(١) رواه الترمذي.
(٢) سورة لقمان، الآية: ١٤، ١٥.
(٣) جزء من حديث في النسائي.
(٤) ابن ماجه.

دعوته »(١) وفعلاً كان سعد مجاب الدعوة وله مواقف كثيرة أجاب الله له الدعاء، وكان لسعد رضي الله عنه أيضًا كرامات كثيرة.

« فيقول سعد يوم أحُد رأيت ملكين يذودان عن رسول الله ﷺ ويقاتلان عنه كأشد القتال ما رأيتهما من قبل ولا بعد »(٢).

ووقع عليه الاختيار من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ومن كبار الصحابة ليقود جيل النصر إلى ما وعدهم به الرسول إيوان كسرى وكنوز المدائن وتدمير ثاني امبراطوريات الشر الفرس، فخمدت النار التي كانت تعبد من دون الله.

وبعد هذه القادسية فتحت آسيا كلها، ودخلها الإسلام حتى حدود الصين، فنعم القائد هو سعد.

وعندما حلت الفتنة بين المسلمين أغلق عليه داره ولم يخرج وقال لا تخبروني حتى يقبل الناس أميرًا لهم، ومات في المدينة المنورة وهو مبشر من الرسول ﷺ بالجنة فهنيئًا لسعد الجنة، مع الرسول، وهنيئًا له ولجيله هذا المجد في الدنيا أيضًا.



(١) رواه الحاكم.
(٢) رواه البخاري.

أغلى ثمار جيل النصر القادسية

كانت للقادسية طعم خاص، فجاءت بعد طول عناء وحروب طويلة مع الفرس، فالفارسي مقاتل شديد وقوي، وكانت منطقة العراق العربية خاضعة لدولة الكفر وما وراء النهر منطقة محرمة على دعوة الإسلام، وكذلك كان وعد رسول الله ﷺ لهذا الجيل بالنصر وكنوز كسرى، والجميع مستبشر بهذا النصر ومتيقن منه، وقدر جيش المسلمين يومئذ بحوالي ثلاثين ألف رجل منهم ألف من صحابة الرسول، فمنهم من شهد بدر، ومنهم من شهد الحديبية، ومنهم شهد فتح مكة، ومنهم من شهد هذه المشاهد كلها.

وأرسل سعد إلى كسرى ملك الفرس بناءً على طلبه رسولاً، وأستهزأ بهم رستم وسخر منهم، ووعدهم بالهزيمة، وكذلك فعل قائدهم، وبدأت المعركة، وأول يوم منها وسمي يوم أرماث، وإن كانت الغلبة فيه للفرس بعد أن عبروا الجسور للمسلمين، وكانت معهم الفيلة المدربة على القتال، ففرت الخيول من أمام الفيلة، وأمر سعد الفرسان بالانقضاض على الفيلة وقطع أحزمتها ولكن الحراسة كانت على الفيلة شديدة.

وجاء اليوم الثاني يوم أعواث. وشد الجميع على الأسنان، ونرى وصية الخنساء لأبنائها في هذا اليوم، وكانت قد أصُيبت بالعمى من قبل حزنًا على موت أخيها وذلك قبل الإسلام، وبعد الإسلام تقول لأبنائها، إنكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين، وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين، واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية، وعندما تُبشر باستشهاد أبنائها تقول الحمد لله الذي شرفني باستشهادهم وأسأل الله أن يُلْحقُني بهم في الجنة.

وفي هذا اليوم استعد المسلمون لمقابلة الفيلة، وذلك بإعداد زراكيش على الإبل وأشياء أخرى تحدث صوتًا عاليًا وهجموا على الفيلة ففرت من المعركة وأخذ المسلمون يضربون على خراطيم الفيلة وفي أعينها حتى انقضت الفيلة على جنود الفرس وهي تفر، وتخلخلت الصفوف.

وأصبحت الكفة متكافئة، وسرعان ما وصل القعقاع بن عمر قادمًا من الشام على رأس المدد القادم من الشام، فاستبشر الجميع بهذا الرجل الذي قال عنه أمير المؤمنين عمر لا يُهزم جيش فيه القعقاع.

يوم الثالث يوم عماس واستمر فيه القتال طوال اليوم والليلة بلا توقف وجاء بضع آلاف من جنود الشام وانضموا إلى جيش المسلمين، فكانوا لهم العون وشد الجميع على الفرس، وانقضوا علي رستم قائد الجيش فقتلوه، واضطرب جيش الفرس، حتى جاء يوم القادسية يوم فتح الفتوح وكان وعد الله لهم بالفتح وهزيمة الفرس وفرار من بقي من جيش الفرس.



فتح المدائن

وسرعان ما سار سعد بجيشه إلى المدائن عاصمة الفرس، وعبر إليهم النهر ودخلها بعد أن فر كسرى، ولم يعد بعدها كسرى أبداً. وكان يسمى شاهنشاه، أي ملك الملوك وقال ﷺ «أن أقبح الأسماء عند الله رجل يسمى ملك الأملاك»[١].

ودخل سعد إيوان كسرى وعندما رأى الكنوز التي تركوها تذكر تدل المولى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝٢٥ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝٢٦ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ۝٢٧﴾[٢].

وقال ﷺ: «إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفسي بيده تنفقون كنوزهما في سبيل الله»[٣].

وصلى سعد صلاة الفاتحين ثمان ركعات بلا تسليم.

ولبس سراقة تاج كسرى، وتذكر وعد الرسول ﷺ له عندما كان مطارداً من قومه في الصحراء في طريقه للهجرة إلى المدينة، وسراقة خلفه يطارده ثم يعده بتاج كسرى وقد كان.

وعندما رأى عمر بن الخطاب هذه الكنوز قال إن من يؤدي هذه الأمانة لأمناء حقاً، فقال على بن أبي طالب «إنك عففت فعفت الرعية» واستمرت الفتوح حتى تم نهائياً القضاء على ملك فارس، ودخل الإسلام إلى حدود الصين.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) سورة الدخان، الآيات: ٢٥ – ٢٧.

(٣) رواه البخاري.

فانظروا إلى هذا الجيل كم مضى عليه من الزمن في التدريب والتمحيص والإعداد للقتال، والهزائم والابتلاءات، فجيل النصر لا يأتي أبداً فجاءة ولكنه نهاية طريق طويل مليء بالتضحيات وإثبات الإيمان والإخلاص وتنقية الصفوف من المنافقين والمتلونين، فهذا هو الطريق إذا أردنا أن نصل إلى نصر حقيقي فالشجرة إذا أردت أن تأخذ ثمارها عليك بزراعة الحبة أولاً ثم تنمو هذه الشجرة بالتدريج فتصبح ساقاً ثم يكون لها فروع ثم لها أوراق وبعدها تأتي الثمار ولا تسبق مرحلة المرحلة التي قبلها أبداً.



موعد آخر مع جيل من أجيال التمحيص جيل صلاح الدين

ولنا أيضًا الدرس والدراسة المتأنية لهذا الجيل، جيل صلاح الدين، فمن الخطأ الجسيم أن يُعتقد أن هذا الجيل جاء فجاءة، ولكن أيضًا بعد استعداد وإعداد كبير لحوالي مائة سنة، والحالة عمومًا تغيرت مع هذا الجيل من كل النواحي المختلفة وفي العالم المحيط بهم، وفي ديار الإسلام عمومًا فخرج صلاح الدين قائدًا لهذا الجيل، وليس جسمًا دخيل على هذا الجيل، وتمحص معهم وابتلى الجميع وانهزموا وانتصروا حتى جاء النصر الكبير من الله الذي خُلد به ذكر هؤلاء الأبطال.

نبدأ بأسماء هؤلاء الأبطال:

فأسماء هؤلاء الأبطال الذين قادوا هذه الفترة وهذه الأمانة هم صلاح الدين وعمه أسد الدين والأمير نور الدين زنكي وعماد الدين والناصر لدين الله والمنتصر بالله.

عكس أسماء ملوك الهزيمة وقواد الهزيمة فكانت ألقابهم العاضد وشاور وسيف الدولة وطلائع بن يزريك.

والعبرة ليست بالأسماء، ولكن هذه الأسماء تعطي مؤشر عن حالة الناس والروح الدينية التي كانت منتشرة في أيام هؤلاء الرجال.

الحالة السياسية:

حمل الجميع لواء الإصلاح السياسي في العالم الإسلامي وشعر الجميع بأن الفُرقة والاستبداد لا محل لها أبدًا من النصر، فسعى الأمير عماد الدين

زنكي على تطهير شمال العراق من الأمراء الفاسدين، وفتح هذه البلاد حتى كان له النصر وتوحيد للكلمة تحت لوائه وأرسل ابنه نور الدين إلى الشام، وكان من أشهر قواده أسد الدين شريكوه وعم صلاح الدين وأبو صلاح الدين وكان لهم توحيد الشام وكان الجميع يعمل على التوحيد حتى يتم لهم محاربة الصليبين والانتصار عليهم، وكان لابد لهم من أن يقضوا على أمراء الخيانة، أنصار حملة الصليب ودخل أسد الدين إلى مصر عدة مرات بناء على استدعاء الخليفة الفاطمي لتطهيرها من الصليبيين ومن أعوانهم، الذين كانوا يستدعونهم في كل مرة، وكان الأمير نور الدين في كل يوم يكسب أرضًا من الفاسدين ومن الصليبيين، وأمن طريق التجارة بين مصر والشام، حتى جاء اللحظة المناسبة وأرسل جيشًا بقيادة أسد الدين ومعه ابن أخيه صلاح الدين لطرد الصليبيين من مصر، وذلك بناء على استدعاء أهلها، وتم له ذلك إلا أن الدولة الفاطمية كان يعمها الفساد، وضعفت، وبلغ ظلم حكامها على أهلها أشُده، فما كان من أسد الدين إلا أنه مكث في مصر حتى مات، ثم تولى بعده صلاح الدين الوزارة في مصر، وبعد موت الخليفة أعلن صلاح الدين والي لمصر وأنهى الخلافة الفاطمية، وسرعان ما أرسل حملة إلى الحجاز واليمن وأخضعهما له، وبهذا توحدت الجبهة من حدود مصر الغربية إلى الجزيرة العربية، وأصبح الصليبيون واقعين بين سندان نور الدين من الشام ومطرقة صلاح الدين في مصر، وكانت الخلافة العباسية في هذا الوقت جبهة خلفية قوية خلف هذه الجيوش متمثلة في رمز هذه الخلافة المستغني بالله، وقيل أنه أعدل من جاء بعد فترة الخلافة الراشدة، وإن لم يشترك مباشرة في هذه الحروب إلا أنه كان نعم العون لهذه الحملة، وأصبحت الحالة السياسية مهيئة تمامًا وموحدة وبعد موت نور الدين تولى صلاح الدين الأمر على كل هذه الأراضي وأنشأ الدولة الأيوبية، ومات نور الدين شهيداً في جهاده ضد الصليبيين.

الحالة الدينية:

شعر علماء المسلمين بأن الوقت قد أزف للهدنة، ووقف أسباب الخلاف بين العلماء فسعى الجميع للم الشمل فاجتمع أصحاب المدارس الفقهية المختلفة واتفقوا على ضرورة وحدة الكلمة ونبذ الخلاف في هذه المرحلة، فالخطب جليل والكارثة تحل بالجميع ولا مجال للفرقة، ولا وقت للمشاحنات، واتفقوا على صيغة للحوار بينهم، ووقف الحروب بين علماء المدارس الفقهية ولو مؤقتًا وعادت للمنابر دورها في تعبئة الناس، وحثهم على الجهاد على العطاء، وعلى البذل في سبيل الله.

الحالة الاقتصادية:

رُفعت الضرائب الظالمة والباهظة عن الناس وانتهى الترف، وسارع الأمراء ببناء البنية التحتية للبلاد من طرق وكباري وأسواق وتأمين طرق التجارة بين البلاد الإسلامية المفتوحة وازدهرت الحالة الاقتصادية. وعم الرخاء وقل السفهه والترف وحل محله وسطية الإسلام.

الحالة الاجتماعية:

عادت الوحدة مرة أخرى بين أفراد المجتمعات الإسلامية وذهبت رواسب المذهبية البغيضة وكذلك العصبية العرقية وتكاتف الجميع على ضرورة إزالة هذا الاحتلال، وتماسكت البنية الاجتماعية للمجتمع المسلم، وأصبح التقارب بين الشام ومصر والعراق قائمًا، وأصبح الجميع جسداً واحداً، وذابت جميع رواسب الماضي، وعاد النسيج أقوى مما كان عليه وسارع الجميع للالتحاق بجيش النصر.



صلاح الدين الأيوبي

٥٣٢هـ - ٥٨٩هـ

هو ابن هذا الجيل جيل النصر وهو أحد ثمار جيل التمحيص، ولد في تكريت وهو كردي الأصل، وهاجر أبوه نجم الدين أيوب من بغداد إلى الموصل، وعمل قائداً لجيش عماد الدين زنكي، وجعله هو وأخوه أسد الدين شريكوه قائدين من قواده فأرسلهما إلى الشام، لتطهير أراضي الشام من أيدي الصليبيين ومن قواد الهزيمة أيضًا.

وعاش صلاح الدين طفولته في بعلبك ثم بعد ذلك انتقل إلى دمشق مع عمه أسد الدين شركوه، وكان الأمير نور الدين محمود قد تولى السلطنة بعد أبيه، وتعلم منه صلاح الدين الكثير وتدرج في المناصب وتعلم من نور الدين الكثير مما كان له أثر بعد ذلك في جهاد صلاح الدين وفكره، بعد ذلك انطلق مع عمه إلى مصر بناءً على طلب من حكامها الفاطميين الذين استغاثوا به للدفاع عنها من الصليبيين، وتوالت هذه الحملات عدة مرات، وفي الثالثة مكث هذا الجيش في مصر وعين عم صلاح وزيراً ثم بعد ذلك أصبح صلاح الدين هو الوزير تولى حكم مصر وبدأ بالاصلاح السياسي، والاصلاح الديني، وقام بإلغاء المذهب الشيعي من مصر ورفع الضرائب الظالمة عن الناس، وبعد ذلك أرسل إلى الحجاز واليمن ووحدة هذه الأراضي، فأصبح نور الدين في الشام وهو في مصر فكانت كماشة محكمة على الصليبيين إلا أن نور الدين استشهد في هذه الفترة، وينتقل صلاح الدين إلى دمشق ويوجد كل هذه الأراضي تحت لوائه وأصبحت الدولة الأيوبية من كردستان إلى الشام ومصر مروراً بالحجاز واليمن، وعندها بدأت رحلة جيل النصر لرفع الظلم وطرد الصليبيين.

معركة حطين
٥٨٢هـ

خرج صلاح الدين في أكمل عدة، وبرجال كلهم صلاح الدين على قلب رجل واحد، وذهبوا ليحرروا بيت المقدس وناور صلاح الدين بجيشه حتى استدرج الصليبيين بغرورهم إلى مكان قرب بحيرة طبرية، ولم يكن المكان مناسبًا لهم أبدًا، وأخذ في استفزاز الصليبيين حتى هجموا على جيش صلاح الدين وكانت لهم عدة مفاجآت من صلاح الدين، وأشعل صلاح الدين النار حولهم مما زادهم عطشًا، وموتًا واستبسل الجميع في القتال فالجميع يعلم أن هذه معركة حياة أو موت، ولكن نصر الله كان لجنوده كما وعدهم الله وقال: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (١٧٣)﴾[١].

وبعد ذلك ذهب صلاح الدين إلى بيت المقدس، وصلى في بيت المقدس، وحوله إلي مسجد مرة أخرى، وجلب إليه المنبر الذي أعده من قبل نور الدين، وحقق تلميذه صلاح الدين هذه الأمنية برجوع المسجد الأقصى إلى المسلمين والصلاة فيه.

ونرى هنا موقف ونبل صلاح الدين، فبعد أن فتح القدس أخذ الفدية من الغزاة وطردهم إلى صور، وكان يدفع الفدية من جيبه الخاص للفقراء منهم، وإن كان طرد الصليبيين إلى صور خطأ كبير، لأن هؤلاء كانوا شوكةً في ظهر المسلمين، وكذلك موطيء قدم للحملات الصليبية التي جاءت بعد ذلك.

وبجانب هذه العبقرية العسكرية كان حال صلاح الدين يشهد له

---

(١) سورة الصافات، الآية ١٧٣.

الجميع فكان يقوم الليل ويقرأ القرآن، ولم يُشهد لصلاح الدين أنه لم يكن يحتفظ بأموال تستحق الزكاة في أي وقت من الأوقات، فكان يعيش عيشة المحارب في خيمة أو على ظهر فرس.

وبعد ذلك اجتمع ملوك أوربا وجاءوا على رأس حملة أخرى لم يشهد لها هذا الزمن مثيلاً وحاصروا عكا فترة طويلة وطال الحصار وضرب أهالي عكا مثالاً جيداً في الصبر والصمود. ثم سقطت عكا بعد طول حصار وعاث الصليبيون مرة أخرى فساداً في عكا وفي أهالي عكا، وحزن صلاح الدين حزناً شديداً، وسار الصليبيون في الطريق إلى بيت المقدس وتصدى لهم صلاح الدين في عدة مواقع في الطريق وأوقع بهم خسائر كبيرة ثم حاصروا بيت المقدس ولكن صلاح الدين ومن معه دافعوا دفاعًا شديداً وخسر الصليبيون الكثير من رجالهم في حصارهم ولم يدخلوها مما كان منهم إلا أنهم عقدوا هدنة مع صلاح الدين ورحلوا.

وإن كان أكثر المؤرخين ليقولون إن صلاح الدين أراد أن يستكمل الجهاد ويقضي على الصليبيين ويطهر الأراضي العربية منهم، ولكنه نزل على رأي الجماعة ومجلس الشورى، ورجع إلى مصر وترك هذه الجيوب الصليبية في بعض أراضي الشام ووقع هذه الهدنة ورحل إلى مصر مرة أخرى.



معركة عين جالوت
٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م

وبعد أقل من مائة عام من تحرير القدس جاء الهجوم التتاري على الخلافة الإسلامية ودمر بلاد الشام ودمشق واحتل عاصمة الخلافة، وهنا سنتوقف عند أسباب انكسار الأمة بعد فترة قصيرة من نصر صلاح الدين، وبعد أن كان الصليبيون قد هُزموا عدة هزائم في مصر والشام وأوشك نجمهم على الاندحار وهذا ما سوف نناقشه لاحقًا عند الحديث عن عوامل نهوض الأمة.

وأضحى العالم الإسلامي كله مهدداً بالفناء والانهيار، ولن يكون له بعد ذلك قائمة، وكانت مصر هي أخر حائط صد وكان الحال في مصر أشبه بالحالة التي كانت عليها الأمة عند دخول الحملة الصليبية الأولى، وذلك من الانهيار والتفكك وعادت الأمور إلى سابق عهدها.

إلا أنه كان هناك بقية من جيل صلاح الدين من جيل النصر من القواد الذين ذاقو حلاوة النصر، ومن العلماء الأجلاء الذين عرفوا دورهم في النهوض بهذه الأمة، فتوحد الجميع، فشيخ العلماء العز بن عبد السلام والقائد سيف الدين قطز وفلول الأمراء والوجهاء الذين فروا من الشام أمام جحافل المغول إلى مصر لوضع خطة للتصدي لهذا الغزو باعتباره نذيراً بانهيار الأمة.

وبدأ قطز، وكان من المماليك، فتولى مقاليد الأمور من أخر الخلفاء الأيوبيين وكان طفلاً صغيراً، وكان الموقف جداً وليس بالهزل ونظمّ القواد وأعد الجيش القوي وشحذ همم المماليك للقتال، وعدل بين الناس، وبدأ

بجمع الأموال من الناس، وبدأ بالمماليك، وجهز جيشًا يستطيع أن يتحمل المسئولية بالدفاع عن الوطن وأبى أن ينتظر المغول حتى يأتوا إلى مصر ولكنه خرج إليهم ليحاربهم في الشام، وعندما رأى أن الخوف ملأ قلوب الجيش فما كان منه إلا أنه قتل رسل هولاكو وعلق رقابهم على باب زويلة، ليرفع الروح المعنوية للجنود مع أن هذا ليس من تعاليم الإسلام، وما دفعه لفعل ذلك هو رسالة هولاكو إلى قطز طالبًا منه الاستسلام.

ولعب العز بن عبد السلام دوره كعالم من علماء الأمة، وشحذ همم الناس وبعث في قلوب الناس روح الجهاد والإيمان وسارع الجميع للتلبية لأن هذا الشيخ الجليل كان محل ثقة من الجميع.

وانطلق جيل النصر في أقصى الصحراء، والتقى مع بعض جنود المغول في غزة ولقنوهم أول هزيمة، وبعدها انطلق الجيش إلى عين جالوت لملاقاة جيش هولاكو، وهي مكان قرب الناصرية في فلسطين، وأمر قطز أن تكون المعركة بعد صلاة الجمعة حتى يكون الناس في المساجد، والأئمة على المنابر ليدعوا لهذا الجيش بالنصر.

وفي أول المعركة كاد الأمر أن يكون للمغول، ذلك من شدة خوف الجنود منهم، ولكن قطز القائد العظيم وقف وسط المعركة ألقى الكلمة السحرية التي أشعلت الأرض من تحت أقدام المغول وهي «وا إسلاماه»، وجاءت الملائكة لتحارب مع جند الله مع جيل النصر، وكان النصر للمسلمين وطاردوا فلول المغول حتى قضوا عليهم تمامًا من الأراضي الإسلامية وخر قطز شاكرًا لله في أرض المعركة فراية الإسلام لا تُهزم أبدًا ومن المفارقات أن معظم جنود المغول أسلموا بعد ذلك، وحسن إسلامهم وكانوا لحساب المسلمين. ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

---

(١) المنافقون: ٨.

محمد الفاتح

٨٣١هـ - ٨٨٦هـ

نشأ محمد الفاتح في رعاية والده مراد الثاني، وكان يتميز بالذكاء والشخصية المتميزة الفذة والأدب والتدين والأخلاق الحميدة وفيه جميع صفات الرجولة، وتربى برعاية مؤدبه وشيخه الشيخ أحمد شمس الدين.

فكان لهذا الرجل الدور العظيم في تربية هذا الشاب ومنذ نعومة أظافره، وكان محمد الفاتح رجلاً مسئولاً فتولى الحكم وهو في سن أربعة عشر سنة عندما اعتزل والده عن الدنيا، ولكن عاد الوالد ليتولى السلطنة مرة أخرى، وعندما مات أبوه كان محمد الفاتح في سن اثنين وعشرين سنة وتولى الخلافة عندها، ومنذ اللحظة الأولى كان يعيش في عقله حديث الرسول ﷺ «لتفتحن روميه وقسطنطينية» فقالوا أيهم أولاً فقال «مدينة هرقل قسطنطينية»(١).

وعاش في قلبه حديث الرسول ﷺ: «لتفتحن القسطنطينية على يد رجل فلنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش»(٢).

فتمنى أن يكون هو هذا الأمير، وشجعه الشيخ شمس الدين وتنبأ بأنه هو المقصود بالحديث، فكان عالمًا ربانيًا ولم يقل هذا الشيخ هذا الكلام من فراغ ولكن هو أعلم بتلميذه وصفاته وورعه وتدينه وكان أيضًا أدرى بحال الناس في هذا الزمن من تقوى وصلاح وإيمان.

وكان الجنود في هذا العصر من جنود النصر وهذه شهادة ظاهرة وواضحة، فمحمد الفاتح لم يأت من الفضاء فهو ابن هذا الجيل، فالعلماء

(١) رواه أحمد.

(٢) رواه أحمد.

والأمراء والجيش هم عينة تعبر عن حال هذا الجيل، وكذلك جيل النصر لابد من وجود خلفه جبهة داخلية متماسكة، وخصوصًا في معركة مثل التي تنبأ بها الرسول ووعد جندها وقائدها بالنصر ووصفهم بالخيرية.

وأعد هذا الرجل لهذه المعركة، فأمن الجبهة الخارجية بعقد المعاهدات مع الأطراف المختلفة، وأمن الجبهة الداخلية عدلاً وأنشأ الدواوين والمدارس العلمية وأهتم بالصناعة الحربية وأنشأ صناعة حربية متقدمة جدًا واستقدم خبير من المجر كان يسمى أوربان وكان خبيرًا في صناعة المدافع وصنع المدفع العثماني العملاق وأهتم بصناعة السفن، وأنشأ أسطول عظيم بلغت عدد سفنه حوالي أربعمائة سفينة، وبعدها قاد معركة القسطنطينية وأثبت عبقرية وعقلية فذة، وحتى تم له النصر بعد طول حصار ولم يتغير هذا الرجل بعدها، ولم يُصب بالغرور وقرب العلماء إليه، وواصل الجهاد في كل بقاع الأرض دفاعًا عن الدين حتى جاء عام ٨٨٦ وحينها غادر السلطان الفاتح القسطنطينية إلى آسيا الصغرى وكان بها جيش ينتظر أوامر الأمير إلى أين يتجه بهذا الجيش، وكان هناك جيش في جنوب إيطاليا، إلا إن السلطان مات عندما وصل إلى جيشه، وكان قد خرج وهو مريض ومات هناك ولم يكن يعلم أحد إلى أين هو ذاهب بهذا الجيش، وإن من المؤرخين من يقول إنه كان ذاهبًا لإيطاليا ليُطبق على روما مع جيشه القادم من الجنوب، ولكن لم يمهله القدر هذا فاراد أن يكون فاتح قسطنطينية وروميه.

ومن مميزات محمد الفاتح أنه لم يكن ليُخبر أحدًا إلى أين هو ذاهب بالجيش حتى تكون مفاجأة للعدو فلا يستطيعون الاستعداد له لدرجة أنه في يوم سأله أحد القضاة إلى أين العزم فقال لا أبوح لك، ولو أن شعرة من لحيتي علمت إلى أين أنا ذاهب لقطعتها وحرقتها في النار.

فرحمة الله على هذا القائد العظيم وكفاه فخرًا أن الرسول ﷺ ذكره ومدحه.

وصية محمد الفاتح لابنه

وهذه هي رحمة مخمد الفاتح لابنه وأنا أعتقد أن هذه الوصية تصلح لتكون ميثاقًا لكل حكام المسلمين فيقول له:

«ها أنذا أموت، ولكني غير آسف لأنني تارك خلفًا مثلك، كن عادلاً صالحًا رحيمًا، وأبسط علي الرعية حمايتك بدون تميز، واعمل على نشر الدين الإسلامي فهذا واجب الملوك على الأرض، قدم الاهتمام بأمر الدين على كل شيء، ولا تستخدم الأشخاص الذين لا يهتمون بالدين.

ولا يجتنبون الكبائر وينغمسون في الفحش، وحارب البدع المفسدة، وباعد الذين يحضونك عليها، ووسع رقعة البلاد بالجهاد، وأحرس بيت مال المسلمين، وإياك أن تمد يدك إلى مال أحد من رعيتك، لا بحق الإسلام وأحمي للمعوزين قوتهم، وأنزل كرمك للمستحقين، وبما أن العلماء هم بمثابة القوة المعنوية في جسم الدولة فاظفر بهم جانبك وشجعهم.

وإذا سمعت بأحد منهم في بلد آخر فأستقدمه إليك واكرمه بالمال، حذار حذار لا يغرنك المال، وإياك أن تبعد أهل الشريعة عن بابك، وإياك أن تميل إلى أي عمل يخالف الشريعة فإن الدين غايتنا والهداية منهجنا».

خذ مني هذه العبرة «حضرت إلى هذه البلاد فكانت كنملة صغيرة فأعطاني الله تعالى هذه النعم الجليلة فالزم مسلكي، وخذ حذوي واعمل على تعزيز هذا الدين، وتوقير أهله ولا تنفق أموال الدولة في ترف ولهو، وأقتصد قدر اللزوم، فإن ذلك الإسراف من أعظم أسباب الهلاك.



جائزة جيل النصر فتح القسطنطينية
٨٥٧هـ - ١٤٥٣م

منذ بداية غزو الإسلام لديار الكفر تعددت محاولات فتح القسطنطينية وباءت جميعها بالفشل فبداية من سنة ٣٣ هـ فمنذ عهد معاوية مات أبو أيوب الأنصاري على أسوارها، وبعد ذلك في عهد سليمان بن عبد الملك سنة ٩٨هـ، وفي سنة ١٩٠ هـ في عهد هارون الرشيد .

فالكل يسعى ليكون من قال فيهم الرسول الحديث الشريف خير الأمير وخير الجيش، وأيضًا كانت القسطنطينية بموقعها حجر عثر أمام تقدم المسلمين، وكانت سهمًا في ظهورهم، وكانت موضع الفتنة ونقطة الهجوم على المسلمين في كل وقت وكانت القسطنطينية محصنة تحصينًا قوى بطبيعتها والأسوار العالية التي كانت تحيط بها فكانت عصية على من يحاول أن يدخلها وأوشكت أن تسقط في عهد با يزيد الحاكم العثماني المسمى «بالصاعقة» إلا أنه تراجع بعد أن هدده تيمور لنك، وذلك لنعلم قدر الفتن الداخلية في ديار المسلمين بعضهم مع بعض، ثم استمرت المحاولات عن طريق والد محمد الفاتح، حتى جاء هذا الفتى الشجاع محمد الفاتح ومن معه تمحص هذا الجيل بعد عدة حروب وفتوحات مع جده ومع والده فكانت الثمرة محمد الفاتح وشيوخ محمد الفاتح وقواد محمد الفاتح وجنود محمد الفاتح جند الله وتقدم محمد الفاتح في حوالي مائتان وخمسون ألف جندي ومعه كل الأسلحة الممكنة والجميع مصمم على فتح القسطنطينية، والقائد يلهب المعركة والجنود يضربون أروع الأمثلة في

التضحية، والمدافع تدك الحصون والأسوار، والسفن تشدد الحصار من البحر، وظهرت المعجزات والعبقريات العسكرية من محمد الفاتح وقواده، فبعد التمهيد الميداني، بالمدفعية والضرب المستمر لأسوار المدينة، حتى أن المدافع كانت تنفجر من فرط الإطلاق وأشار عليهم السلطان بتبريدها بالزيت.

وكان جانب السور المواجه للبحر ضعيفًا إلا أنهم وضعوا سلسلة عند مدخل القرن الذهبي، فلا تستطيع السفن أن تصل إلي أسوارهم. فما كان من محمد الفاتح إلا أن عبر بالسفن على اليابسة بمسافة ٣ أميال ووضع على طريق السفن قطع من الخشب ودهنها بالزيت والشحوم وفي الصباح فوجئ سكان القسطنطينية بالسفن تحصار هذه الأسوار وتدكها.

واستمرت محاولات الاقتحام عن طريق الأبراج الخشبية، وأيضًا السلالم وحتى أن جنود المسلمين حفروا الأنفاق تحت الأسوار للمرور منها، وضرب الجميع المثل في الشجاعة وحب الشهادة. وفي أثناء الحصار عقد محمد الفاتح مجلس شورى لقواده وكان فيه الشيخ شمس الدين فالشيخ يتحمس للقتال والاستمرار ويعد الجميع بالنصر من الله فهذا الشيخ يرى بنور الله، وعنده علامات على هذا من خلال سلوك هؤلاء الجنود. فجيش النصر فرسان بالنهار رهبان بالليل.

ورئيس الوزراء يثني محمد الفاتح عن القتال ويقول له كفى هذا ونعود، وهنا ظهر موقف لأحد قواد السلطان وهو «روغتوش باشا» وهو من أصل ألباني، وأسلم طوعًا، أي أنه لم يدخل للإسلام بالسيف كما زعم الحاقدون على الدولة العثمانية، وإلا ما أصبح قائدًا في مثل هذه المعركة وما وقف هذا الموقف وقال للسلطان ما جئنا لنعود ولكن إما النصر وإما الشهادة، فامضي ونحن معك وقال كلا وحاشا وعقد الجميع العزم على الاستمرار.

واستمر الأمر على ما هو عليه، وفي هذا الوقت أرسل محمد الفاتح لشيخه ليكون بجواره في المعركة، لأنه كان مصممًا على الاقتحام وكان في مقدمة الجيش، وقال أما أن يكون لي غداً ملكٌ في القسطنطينية أو يكون لي فيها قبر، وعندما أراد رسل السلطان الدخول على الشيخ منعهم حرس الشيخ، وعندما حضر الأمير بنفسه منعوه أيضًا من الدخول على الشيخ بناءً على طلبه.

فما كان من محمد الفاتح إلا أن خرق خيمة الشيخ، ودخلها عليه، فوجده ساجدًا لله يبكي ويناجي الله لنصرة جنده.

ويستبشر محمد الفاتح بالنصر القريب ويقول الحمد لله الذي نصرني بمثل مثل هذا الشيخ وجعله إلى جواري.

وخرج محمد الفاتح من الخيمة ليجد الأرض قد ابتلت بالماء من المطر مباشرة أخرى وذلك تمامًا مثلما حدث يوم بدر، وتثبتت الأرض تحت أقدام المهاجمين، وشد الجميع على الأسوار ورُفع العلم العثماني على الحصون وكبر الجميع وتدافعوا الجميع إلى المدينة وكانت معهم تعليمات السلطان الفاتح لا تقتلوا طفلاً ولا شيخًا ولا امرأة ولا رجل دين ولا تدخلوا كنيسة ولا تروعوا أحداً.

ودخل محمد الفاتح القسطنطينية وخرَّ محمد الفاتح على الأرض ساجدًا لله على هذا النصر وهو يقول لقواده «الحمد لله يرحم الله الشهداء ويمنح المجاهدين الشرف والمجد».

وحقق جيل النصر ما وعد الرسول إياه وكان لهم الشرف والذكر والخلود في الدنيا والجنة لهم في الآخرة، فهنيئًا لهم ما حققوه.

عوامل النهوض

وحتى نتمكن من الاستفادة من التاريخ لبناء المستقبل، فلابد من دراسة عوامل نهوض هذه الأجيال حتى يكون عندنا جيل النصر الذي ينشده الجميع. فمنطق الاستسهال الذي لا يأتي من ورائه إلا الهزيمة، فمن يقول نحن ننتظر حتى يأتي إلينا القائد الذي يقود هذا الجيل للنصر فهذا خطأ، فقائد النصر هو أحد أفراد هذا الجيل، وفي أحيان كثيرة نجد أن من المساعدين وحتى من الجنود من يلعب دوراً حاسماً في هذه المعارك، ونحن لا نغفل دور القائد، ولكن نحن نركز على حال المجتمع كله وكذلك العلماء.

وبالدراسة والقراءة الدقيقة للأحداث نجد أن الدين هو العامل الرئيسي في نهوض هذه الأجيال.

كان الدين هو المحرك الرئيسي لهذه الأجيال وهو العامل الرئيسي لظهور أجيال النصر، فهذه الأجيال ظهرت بعد فترات انهزام وذل وانبطاح وتقهقر وفساد في البلاد وافساد، فتقع الهزيمة عندها يبحث الناس عن المخلص لهم من هذه الأزمات ولا ملجأ من الله إلا الله، فيذهب الناس حينها إلى الله، بالصلاة والعبادة والطاعة وعندها تظهر علامات التدين بين الناس، والجميع يبحث في الدين عن المخلص لهم من هذه المحنة، وإذا ذهب الناس إلى الدين فالنتيجة المباشرة أن يذهب الناس إلى العلماء وليس طبعًا علماء الهزيمة الذين يأكلون على كل الموائد ويزينوا الحق بالباطل لقاء دراهم معدودة، فهذه الطوائف تختفي مع الهزائم، وكذلك علماء الفتنة والمعارك الوهمية بين المسلمين بعضهم بعضًا، وكذلك متعصبو المذاهب الفقهية، والمراؤن بأعمالهم وعباداتهم، ولا تجد أثرًا للدراويش، فالجميع يبحث عن

المال حينها أما في هذه المواقف العصيبة فلا مال، كما أن هؤلاء ليس عندهم حلول للحالة التي يصل إليها الناس ولا يوجد عندهم روح المقاومة ولا يعرفون للجهاد سبيلاً، وعندها تختفي هذه النوعية، وتظهر نوعية أخرى من العلماء تقود الأمة إلى الحق وإلى المعارك وإلى المقاومة وإلى الأمل، وإلى التضحية، وتعبأ الأمة بالجنود الأتقياء الأنقياء الذين يحبون الموت على الحياة، كما قال خالد بن الوليد للقائد الفارسي جئتك برجال يحبون الموت كما إنكم تحبون الحياة، فهذه هي عينة من جيل النصر وهذه هي نوعية علماء النصر.

فهؤلاء العلماء أصحاب رسالة وأصحاب علم وفكر يقودون الأمة للأمام ولا يخافون في الله لومة لائم، فالعز بن عبد السلام يقول لقطز قبل أن تأخذ من الناس الأموال للجيش تبدأ بأنفسكم، ومن الأمراء والوزراء أولاً.

وهؤلاء نجدهم في المقدمة في الصفوف الأولى كما حدث مع الشيخ أحمد شمس الدين مع محمد الفاتح عكس علماء الهزيمة نجدهم في الصفوف الأولى للموائد، وأيضاً يجيدون حمل الأموال وصناعة الفرار في ساعات الشدة.



قــواد النصــر

ثم بعد ذلك يأتي دور القيادة، والقيادة لا تأتي إلا من أبناء هذا الجيل، لا يقود المتطهرين إلا أمثالهم فهم أبناء هذه الصحوة لا دخلاء عليها، فهم من أبناء هذا الجيل، وتربوا على نفس المنهج الرباني، وعندما ننظر إلى أسماء قواد النصر صلاح الدين، سيف الدين قطز، محمد الفاتح.

أسماء أبناء جيل النصر، وأباء جيل النصر جعلوا الدين محور حياتهم، وسموا أبناءهم بالأسماء المرتبطة بالدين حبًا في الدين وشعوراً بأهمية الدين، فالقواد هم أبناء الصحوة لا دخلاء على الصحوة.

ولو جاء قائد مهما كان صلاح هذا القائد، وقاد جيل الهزيمة فماذا يفعل معهم لا شيء فسيدنا موسى لم يفلح مع بني إسرائيل ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾(١).

فقائد النصر يحتاج إلى تدريب وإعداد طويل وإلى تربية وتمحيص واختبارات كثيرة وإلى إعداد القوة الممكنة والخطط المحكمة، وأيضًا يتحلى بقلب شجاع وعقل متوازن يُقدر الأمور، وقلب كله توكل على الله.

وعليه عبء الإعداد للمعارك ورعاية ثمار شجرة النصر حتى تؤتي الشجرة ثمارها، وذلك مثل ما فعل الرسول مع الصحابة لمدة خمس وعشرون سنة من الإعداد حتى جاء جيل النصر.



(١) سورة المائدة، الآية: ٢٤.

أسباب الانكسار

لا نجد في الكتب التي تتحدث عن التاريخ الإسلامي من يتحدث عن أسباب الإنكسار.

والإنكسار هو حالة الضعف التي تحل بالأمة بعد فترة قصيرة من هذه الانتصارات، فتعود الأمور سريعًا إلى ما كانت عليه الحالة قبل النصر، وحتى في أحيان كثيرة تصل إلى مرحلة الهزيمة في بضع سنين قليلة كما حدث مع المغول دخلوا بغداد بعد فترة قصيرة، فبعد أقل من ٥٧ سنة من خروج الصليبيين من بيت المقدس دخل المغول بغداد .

والحالة التي وصل إليها الناس بعد عين جالوت لدرجة أن قطز قتل في الطريق إلى البلاد بعد الإنتصار الباهر على المغول.

وهذه الانكسارات نستطيع أن نقول إنها تعود إلى عنصرين، وهم الأمراء والعلماء.

فبالنسبة للأمراء:

الحالة التي يكون عليها أمراء جيل النصر من العدل والإيمان هو استثناء عن القاعدة.

أي أن عدل أمراء النصر هو هبة للشعوب، وليس ميراثًا للشعوب. العقد بين الشعوب وأمراء النصر هو عقد عرفي، ولابد أن يكون عقداً موثقًا بين طرفي العقد الشعوب والأمراء، والملاحظ أن أمراء النصر لم ينتهزوا الفرصة ويضعنا للناس علاقة بين الحاكم والمحكومين، علاقة ثابتة في صورة عقد يُلزم الجميع ويضع لكل طرف حقه.

وإن كنا نرى أن وصية محمد الفاتح لابنه هي صورة نموذجية للعقد بين الطرفين إلا أنها جاءت في صورة وصية، أو هي هبة من الحاكم، ولم تأت بصورة ميراث للمحكومين، وحق يُحاسب الحاكم على التقصير في أداء هذه الحقوق، فكان هذا هو السبب في تسلط بعض الحكام، وعودة الفساد في الأرض مرة أخرى، والظلم والترف، وتعود الدوائر مرة أخرى علي الأمة.

العلماء:

فالعلماء الذين قادوا أجيال النصر تخلصوا من ميراث الخلافات بين المذاهب المختلفة، ولكن بصورة مؤقتة، فقد كانت هدنات، وسرعان ما يعود الحال إلى ما كان عليه، ولم تكن أبداً مصالحة لرفع هذه الحواجز الوهمية بين أصحاب القبلة الواحدة. وكذلك لا توجد أي محاولات جادة على مدار التاريخ للتقريب بين الفرق الإسلامية المختلفة المتناحرة، ومع إنه في كثير من الأحيان كان هذا التناحر ليس بسبب خلاف عقائدي ولا ديني، ولكن في أغلب الأحيان هو بسبب سياسي أو ميراث ثقافي كما هو الحال بين الفرس والعرب في صورة شيعة وسنة.

وكان هناك خطأ أكبر، وهو أن هؤلاء العلماء الذين قادوا هذه الصحوات لم يقيموا رابطة لعلماء المسلمين على مستوى العالم الإسلامي غير خاضعة لضغوط من جهات خارجية أو حكام، ولا يدخلها إلا كل عالم رباني، وتكون مرجعية للمسلمين وتعمل على المصالحة بين جميع فرق المسلمين. والحالة التي كانت في فترات المعارك والانتصارات هي وحدة مؤقتة بين العلماء ثم بعد ذلك تعود الحالة لما كانت عليه وتعود المعارك وأسباب الفرقة أشد مما كانت عليه من قبل.

عامة الناس:

بعد الانتصارات الكبيرة يعود حب الدنيا إلى قلوب الناس، وذلك

بالازدهار الاقتصادي بعد فترات الركود ويبدأ بعدها التهاون في الصغائر حتى تُصبح كبائر عندها يُؤكل هذا الجسد الصالح، ويحل محله جسدٌ آخر مليء بالقروح والأمراض وتعود الكرة مرة أخرى على الناس فيكون هذا المجتمع عندها هو نواة جيل الهزيمة.

مواقع هذا الجيل من الأجيال

نحن نعيش اليوم في هذا العالم ونريد أن نعرف موقع هذا الجيل من المسلمين، فهل هو جيل النصر أم جيل الهزيمة أم جيل التمحيص. فإذا قلنا أن هذا الجيل هو جيل النصر فهذا أمر غير حقيقي وبعيد عن الواقع والحقيقة وبهذا التصور نخدع أنفسنا، وأيضاً أين البرهان على ذلك. فالعالم الإسلامي حاله لا يخفى على أحد، فالمسجد الأقصى أسير في أيدي الصهاينة، وديار المسلمين مخربة ومعظم العالم الإسلامي محتل احتلال مباشر وغير مباشر، وكلمة المسلمين ممزقة لا قيمة لها بين الناس، نعم العدو كبير ولكن حق علينا قول الرسول الكريم ﷺ «تداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها قالوا أمن قلة نحن يا رسول الله، قال من كثرة ولكنكم كغثاء السيل»[١].

إذاً فهذا الجيل هو جيل الهزيمة، فالجواب من المفترض أن يكون نعم بعد وصف الحالة التي وصل إليها العالم الإسلامي والبلدان الإسلامية وانقسامها، وحتى الحروب بين المسلمين بعضهم بعضاً، والتعاون مع الاحتلال لدخول ديار المسلمين، وفي أحيان كثيرة استدعاء أبناء البلد المحتل لتخليصهم من ظالم، وهذا أمر لا يُصدق هل يستعين إنسان بالشيطان للتخلص من أحد جنود الشيطان إبليس.

إلا إننا نرى بعض النور يضيء هذه الظُلمة الحالكة ففي السنين الماضية هناك أرهصات لجيل جديد، وفكر جديد للاصلاح والتقارب يوشك نوره أن ينتشر في العالم الإسلامي.

---

(١) سنن أبو داود.

وحقيقة أخرى أن راية الإسلام متى رُفعت لم تُهزم هذه الراية أبداً، لا أقول تنتصر ولكن أقول تُهزم، وهذا يعتبر انتصاراً لحاملي هذه الراية.

ونرى الأمثلة على ذلك، فهذه الراية هزمت رأس الإلحاد والكفر في العالم روسيا، وقضت عليها تماماً بعد هزيمتهم على أيدي المسلمين في أفغانستان.

وكذلك في البوسنة والهرسك، ولم يُهزم الإسلام مع كل المؤمرات التي حيكت لأهل البوسنة لاقتلاع الإسلام من أوربا حسداً من عند أنفسهم، ولكن راية الله أكبر أفشلت هذه المؤامرة.

وفي الصومال ذهبت القوى العظمى لتأكلها في ثوان معدودة بعد أن دمروا البلاد، ولكن أسود الصومال أكلوهم ففروا مسرعين.

وها هي المقاومة الإسلامية في لبنان أذاقت اليهود ذل الهزيمة والعار وانسحبوا لأول مرة منذ أن احتلوا فلسطين، فكان هذا أول اندحار عسكري في تاريخ هذه الجرثومة من أرض احتلوها بالقوة، وهي بشرى بخروجهم النهائي من ديار المسلمين.

وها هي المقاومة الإسلامية في كشمير تُوقف الزحف الهندوسي لالتهام أراضي المسلمين وتُؤرق مضاجعهم.

ولا ننسى أبداً المقاومة الباسلة في فلسطين التي أرقت الحلم اليهودي بأرض الميعاد، وحولتها إلى مقبرة الميعاد مع قلة العتداد والامكانيات والمال والعتاد.

وها هي المقاومة الإسلامية في العراق أفشلت خطة الشيطان لالتهام قلب الأمة الإسلامية وعاصمة الخلافة وإن شاء الله النصر القريب لهم والانسحاب المهين للكفرة.

ولذا نرى أن هذا الجيل بالكاد يقال عنه هو بداية ظهور جيل

التمحيص والاختبار والابتلاءات والاستعداد، ليكونوا من رجال التمحيص، وبعد هذه الفترة وهذه المرحلة يأتي بعدها جيل النصر الذي سيكون له شرف المشاركة في أعنف معركة تشهدها البشرية ويكون لهم نصر الله الموعود بإذن الله.



وسائل النهوض بالأمة

كما ذكرنا من قبل إن هذه الأمة تحتاج للنهوض حتى يخرج منها جيل النصر الموعود الذين ذكرنا سماهم، وهم رجال أشبهه بالملائكة، ولكن الأمر يحتاج إلى جهود كبيرة من الجميع، وكلٌ عليه واجب أمانة تجاه هذه الأمة، التي سوف يُحاسب الجميع على التقصير تجاهها ، وكذلك عن أمانة الدين والدفاع عنه. يتكون ممن ساهم في وضع لبنة أو بذرة من بذور هذا الجيل لقوله ﷺ : «الدال على الخير كفاعله» (١).

فالنهوض بهذه الأمة تحتاج إلى عدة جهات تعمل سويًا طبقًا لمنهج مدروس تربوي أولاً، ثم بعد ذلك منهج تعبوي ثم تدريبي. فالتربوي عن طريق التعليم من خلال منهج مدروس، وكذلك إعلامي عن طريق رسالة إعلامية موجهة ومدروسة وشاملة وهذه امكانيات الدول ولكن الأمر يحتاج للتنسيق بين الدول للخروج بخطة شاملة كاملة، فتكون النتيجة سريعة ومضمونة.

وأما الذي من يجب ان نتحدث عنه وله دوراً هامًا فهو الخطاب الديني وذلك من خلال الخطب المنبرية، والدروس الدينية لما لها من دور في تعبئة الناس وكذلك تربية الناس وتثقيفهم، وللخطبة دور مهم في بناء الإنسان المسلم الحق الجديد بأن يكون من جيل النصر. وواقع الحال يقول إن هذا الخطاب يحتاج إلى أمرين.

تجديد الخطاب الديني:

وهذه الدعوة نسمعها اليوم كثيرًا ولكن الذي نريده عن الذي يدعون

---

(١) سنن الترمذي.

إليـه، فنحن نريـد أن يُبـدل الخطاب الديني التـقليـدي الذي نسـمعـه هذه الأيام ولـم يعـد يُؤثـر في المجـتمع، وحـال الناس ظاهر لا يخـفى على أحـد، وذلك لأن الناس أصيبوا بأمراض كثيرة ولم يعد هذا الخطاب ينفع معهم لعلاجهـم، وذلك لأن هذا الخطاب التقليدي يتحدث بأسلوب الترغيب والترهيب. أما الخطاب الذي نحتاج إليه اليوم هو خطاب الإيضاح وطرق الإصلاح.

ولتوضيح هذا الأمر نضع مثلاً، وهو الكذب ففي كل يوم وكل ساعة نسمع أن الكذب حرام، والخطاب الديني التقليدي يقول الكذب حرام وأيضًا سوء عاقبة الكذاب والأجر والثواب للصدق، ولكن لا يوجد مجيب، وأصبح الكذب عندنا في المجتمعات المسلمة كالوباء. ولذا نحتاج إلى خطاب أخر واقعي، يقول للإنسان الفعل المنتشر أو الظاهرة التي يكذب فيها الإنسان في كل ساعة ويعتقد أنه ليس بكذاب، كالذي يقول لابنه إذا سأل عنه إنسان لا يرغب في الحديث إليه قل له إن أباك ليس موجود، فهو كذاب ويعلم ابنه الكذب، فالمسلم اليوم يحتاج لمن يوضح له العلة والمرض توضيحًا تامًا، ويضرب الأمثلة من الواقع.

ثم بعد ذلك ننتقل إلى منهج إصلاحي لهذه الآفات التي تنخر المجتمعات المسلمة.

وهذه الأمراض تحتاج إلى طريقة للعلاج وفق منهج تربوي علمي أخلاقي للعلاج.

ثم ننظر للعاملين على الخطاب الديني:

معظم العاملين إن لم يكن أكثرهم لا يستطيع أن يقدم جديداً في الخطاب الديني، ولا يملك طرق العلاج لهذه الأمراض بل إن الكثير منهم لا يعلم شيئًا عن هذه الأمراض، فهو معزول عن المجتمع، وإن لم يكن مصابًا

بمثل هذه الأمراض، وأصبحت الدعوة وظيفة يؤديها بلا أي مجهود، والواقع يقول إن برنامج الاصلاح يحتاج إلى خبراء في كل مجالات الحياة.

فالتربية الخلقية تحتاج إلى قدوة وأيضًا إلى تربوي، والقضايا والمشاكل الاقتصادية المعاصرة تحتاج إلى اقتصادي ليوضحها ويضع لها الحلول.

والمشاكل القانونية والالتزام بالقانون تحتاج إلى قانوني لوضيحها ويضع الحلول العملية للحد من مخالفات القوانين، وهذه آفة من آفات المجتمعات المسلمة عدم الالتزام بالقانون مع إنها بداية للأخذ بيد الإنسان لطريق الصلاح والإلتزام، لأنه بعدها عليه تكاليف كثيرة لا يُعاقب عليها في الدنيا ولكن في الآخرة.

ورجل الدين الآن غير مؤهل مطلقًا لهذه العملية حتى ولو وضعت له خطة للعمل وخطبة مكتوبة مركزة موضح بها العلاج لهذه العلل، فهذا الحل يأتي من قيام بعض أصحاب التخصصات التي تريد الاصلاح بتقديم هذا الخطاب الديني التربوي، وعندها نأخذ كل وسائل التقدم العلمي والنظريات النفسية والتربوية الحديثة، والعلوم الإنسانية تقدمت تقدمًا ملموسًا، والمثال واضح في سلوك الغرب وأخلاقه، مع إنهم لا يمتلكون خطابًا دينيًا ولا منهجًا ربانيًا للأخلاق الحميدة.

فالمنهج الرباني عندنا ولكنه يحتاج إلى طرق جديدة لتوصيله للناس، وكذلك يحتاج لنوعية أخرى من الدعاة لتوصيله للناس. ولذا فنحن نحتاج إلى أصحاب الاختصاصات ممن نالوا قسطًا من التعليم الديني، وتخصص في العلوم التربوية، وخبراء في القضايا التي يحتاج المجتمع لعلاج القصور فيها، وتثقيف الإنسان وهذا الحل يحتاج إلى تثقيف الدعاة أيضاً والاهتمام بالدراسات الإنسانية في الكليات الدينية، والمناهج التربوية أيضًا تحتاج إلى مزيد من الاهتمام. وسيسأل سائل وما الحاجة للدراسات

الاقتصادية وخبراء في الاقتصاد لتناول الخطاب الديني الخاص بالاقتصاد أولاً لعدة أمور أولها إننا نعاني من مشكلة في المعاملات بين الناس.

ثانيًا: أن هذا الجيل يعاني من مشكلة في سوء توزيع الثروة، وكذلك في التصرف في هذه الثروة، وهذه العلل تحتاج إلى من يوضحها للناس ويبين لهم الحلول وكذلك لاجتناب الوقوع في الحرام، وهو أصل البلاء وبه فساد كبير للجسد الإنساني وسبب ضياع الإنسان فقال ﷺ: «يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة»[١].



(١) من حديث في الطبراني الصغير.

القدس قضية كل مسلم

وفي هذه المحطة لابد أن نتحدث عن مكان المعركة التي وعد الرسول ﷺ فيها بالنصر للمؤمنين ألا وهي القدس. إلا إننا في هذه الأيام نعيش حقيقة مع هذه المعركة، وتحقق قول الرسول فيها فقال ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لعدوهم قاهرين لا يضرهم من جباههم إلا ما أصابهم من داء «أي أذى» حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك فقالوا وأين هم يا رسول الله قال ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس»(١).

والقدس ليست قضية مجموعة قائمة على الحق فقط، ولكنها قضية كل مسلم، ولا أقول كل مسلم، بل كل عربي، ولا أقول كل عربي، بل قضية كل إنسان حر شريف يعيش على وجه الأرض.

وبما أنها قضية فلابد للإنسان المسلم أن يعرف أين هذه الحقوق حتى يدافع عنها، فالمسلم لا يقف إلا مع الحق. فاليهود يزعمون بان هذه الأرض أرض الأجداد ولهم حق تاريخي فيها. ويزعمون أيضًا أن هذه الأرض وعدهم الرب بها وأن هذه الأرض بها هيكل سيدنا سليمان تحت المسجد الأقصى.

فالقضية الأولى من أين هي أرض الأجداد، إلا إذا كان الصيف كلما نزل بأرض تكون له حق فيها، فهذا هو حال اليهود.

فتاريخ القدس هي أرض عربية بناها قبائل «اليبوسين» وهي قبائل حلت من الجزيرة العربية مع الكنعانيين قبل الميلاد بـ ٣٠٠٠ سنة وأما تاريخ اليهود مع القدس فكان عن طريق هجرة نبي الله إبراهيم من العراق والبقاء في هذه البقعة من الأرض ضيفًا على سكانها وأنجب فيها إسماعيل

وإسحاق ثم ذهب بعد ذلك إلى مكة بإسماعيل، وأمه السيدة هاجر ورجع إلى فلسطين وبقى بها مع السيدة سارة وسيدنا إسحاق، وجاء من وراء اسحاق يعقوب وأنجب أبناءه أخوة يوسف ثم بعد ذلك أخذ يوسف أخوته إلى مصر حتى أرسل الله لهم موسى فرجع بهم مرة أخرى إلى سيناء وأمرهم أن يدخلوا هذه الأرض ليطهروها من دنس العماليق، فماذا قالوا ..

﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾(١).

فحرمها الله عليهم أربعين سنة يتيهون في الصحراء ثم بعد ذلك دخلوها مع يوشع، وجاء سيدنا داود وسليمان في هذه الأرض وبعدما أفسدوا فيها مرة أخرى فهذا هو حال اليهود.

فأرسل عليهم الله من يسومهم سوء العذاب نبوخذ نصر وقتلهم وطردهم من هذه الأرض ولم يمكثوا فيها إلا ٢٠٠ سنة.

ثم عادوا إليها مرة أخرى بالاحتلال والاستيطان وطردوا أهلها منها وجاءوا باليهود من كل بقاع الأرض خلال القرن الماضي، فهل يحق للضيف أن يأخذ دار مضيفه.

ثم بعد ذلك هل المحتل تصبح له حقوق في دار الغير. وإن كان الأمر كذلك، فإن المسلمين حكموا الأندلس قرابة ٩٠٠ سنة، والعثمانين حكموا وسط أوربا حتى حدود النمسا ٧٠٠ سنة، فأين حقوقنا. ثم هل يجوز للضيف أن يأتي ويطرد صاحب الأرض الأصلي ويأخذ أرضه منه، مع إن هذا الضيف هو ضيف ثقيل في كل مكان نزلوا فيه فلا مرحبًا بهم، وإن كانوا من السكان الأصليين لهذه الأرض ومن الجذور الحقيقية التي بنيت فلسطين فإن لهم الحق مثل العرب والمسلمين تمامًا، أما أن يأتي رجل من

---

(١) سورة المائدة، الآية ٢٢.

روسيا وأثيوبيا يسكن في هذه الأرض، ويطرد صاحب الأرض العربي المسلم فهذا ظلم.

ثم بعد ذلك ننتقل إلى الدعوى الثانية وذلك في قولهم إن الرب قال لسيدنا إبراهيم بأن الله يعدك بأن يرث أبناؤك الأرض المقدسة، وهذه الدعوى باطلة عقلاً ونقلاً. فعقلاً لأن من هم أبناء سيدنا إبراهيم، فنحن من نسل إسماعيل، وهنا في هذا النص لم يحددوا من أي الأبناء هؤلاء السعداء.

أم يعيشون مع وهم أنهم أبناء الله المرضي عنهم، وهذه دعوى كاذبة فقال تعالى فيهم:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾[1].

ثم لماذا يُورث الله الأرض لهم، وهم المفسدون في الأرض.

﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٦٤)﴾[2].

ولكن الله وعد ميراث الأرض لعباده الصالحين، فقال تعالى:

﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (١٢٨)﴾[3]

أما زعم أن هيكل سليمان تحت المسجد الأقصى فهذه كذبة أخرى فإن الرسول عندما سُأل عن أول بيت وضع في الأرض قال ﷺ «المسجد الحرام ثم ماذا قال المسجد الأقصى»[4].

وهم لا يحق لهم الحديث عن سيدنا سليمان فهم انكروا نبوته وقالوا عنه في كتبهم إن ابن داود ساحر وليس نبيًا. وبالنسبة للمسلم فالأمر

(١) سورة المائدة، الآية ١٨.
(٢) سورة المائدة، الآية ٦٤.
(٣) سورة الأعراف، الآية ١٢٨.
(٤) متفق عليه.

مختلف، فالقدس من بناها وسكن فيها وعمرها هم الأجداد الحقيقيون من العرب. وهي أولى القبلتين. وهي مسرى رسول الله ﷺ:

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ﴾ (١).

وقال ﷺ «لا تشد الرحال إلا لثلاث المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا» (٢).

ثم هناك أمر أخر وهو أن جميع المساجد على ظهر الأرض يسميها الناس، أما المسجد الحرام والمسجد الأقصى، فهي أول بيوت وضعت في الأرض ولم يسمهم بشر بل جاءت التسمية من عند الله فهي بيوت الله باختيار الله، فكان البيت الحرام وبيت المقدس، فسماهما الله المسجد الأقصى والمسجد الحرام.

ثم تراب الأرض الإسلامية لا فصال عليه ولا تنازل عن ذرة تراب منه، ولا يحق لمسلم أن يفعل ذلك.

أما دعاة القسمة فهذا أمر لا يقبله صاحب كرامة، فكيف يقبل إنسان بأن يُحتل داره، ثم يأتي المحتل بالعصابات من كل مكان في العالم وبكل لون، ثم يقول لك تعالى نقتسم هذا الدار فهذا أمر فيه مهانة كبيرة في حق كل مسلم.

وأما ﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ (٣)

فهذه النصوص ليست لهم ولكن إن رجعوا عن الأرض التي احتلوها وخرجوا منها لا حاجة لحربهم وهنا الجنوح للسلم لا للإستسلام لهذه الأطماع فهذه الأمة عدد سكانها ١٢٠٠ مليون نسمة ولو بصق كل إنسان منهم لغرقت إسرائيل في السيول. وإن شاء الله ستغرق في سيول أخرى وإن غداً لناظره لقريب.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ١.
(٢) متفق عليه.
(٣) سورة الأنفال، الآية ٦١.

وصف لجيل النصر

هذا الجيل الذي وعده الله بالنصر على أشرس خلق الله، وأفجرهم. جيل سيقضي على الشر في العالم، وسيقضى على روميه عاصمة الكفر والصد عن سبيل الله. وأيضًا سيطهر المسجد الأقصى من رجس اليهود. جيل ستحارب معه الملائكة وسينطق لهم الحجر والشجر، جيل أشبهه بالأنبياء، معهم هذه المعجزات التي لم ينالها إلا الأنبياء.

فقال ﷺ: «تفتح روميه وقسطنطينية»[١]، وقال ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر يا مسلم يا عبد الله، هذا يهودى خلفي تعال فاقتله»[٢].

فياله من جيل وأي شرف لهم وأي درجة رفيعة وضعهم الله فيها ولكن هذا الجيل لن يأتي هباءً ولن ينال هذه الدرجة هكذا، ولكنه جيل الأجيال، فلنري وصف هذا الجيل كي نتمكن من أن نتعرف عليهم عندما يظهروا.

- **جيل يعرف لا إله إلا الله بحقها:**

فهم لا يعبدون إلا الله ولا يسجدون لبشر، ولا يتوسلون إلا لله ولا يخافون إلا الله، ومتى علم الإنسان أنه لا إله إلا الله صلح هذا العمل واطمأن القلب وامتلأ رهبًا وخوفًا وطمعًا.

فقال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾[٣].

---

(١) رواه أحمد. (٢) رواه مسلم.

(٣) سورة محمد، الآية: ١٩.

• كل عمله لله:

فقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾[1].

فمن علم أن لا إله إلا الله فلا يعمل أي عمل به الرياء، ولا شيء يهمه في هذه الدنيا إلا رضي الله عنه، وهذه من أعمال القلب لا يعلمها إلا الله ولا يطلع على النوايا إلا الله.

لذا قال النبي ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات، ولكل امرئٍ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته لله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه»[2].

فالله لا يقبل معه الشريك، ولكن الإخلاص في العمل لله؛ فقال تعالى ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾[3].

وقال الله عزَّ وجل في الحديث القدسي: «أنا أغني الشركاء عن الشرك، فمن عمل عملاً أشرك فيه معي غير تركته وشركه»[4]. فجيل النصر لا يعرف شركًا ولا رياءً.

• يحب الله ورسوله:

فقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾[5].

وقال ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يرجع إلى الكفر بعد أن أنقذه الله منه ويكره أن يُلقى في النار»[6].

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٦٢.
(٢) رواه البخاري
(٣) سورة الكهف، الآية: ١١٠.
(٤) رواه ابن ماجه.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ٣١.
(٦) الصحيحين.

وقال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وولده وأهله والناس أجمعين»(١).

فحب الله لابد أن يثبت الإنسان، ليس مطلوبًا منه برهان إلا طاعة الرسول فيما أرسله الله به اتباع تعاليم الدين، والقول سمعنا وأطعنا، أما من يقول سمعنا وعصينا، فهذا أمر لا يدل إلا على النفاق، وجيل النصر خالٍ من النفاق، فهو سيقدم أغلى ما يملك، ليشتري سلعة الله الغالية.

• قلبه متعلق بالجنة:

وهو الاشتياق لسلعة الله الغالية، وهي الجنة وصحبة الرسول ﷺ.

وقال تعالى: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾﴾(٢).

وقال ﷺ عن المولى - عزَّ وَجَلَّ -: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطرَ على قلبِ بشر»(٣).

فهي أمنية جيل النصر الحياة الباقية، فهي مفضلة عندهم على الفانية.

• هم من أهل القرآن الكريم:

فهم من أهل القرآن، وله نصيب في حياتهم قراءة وتدبر، وأيضًا عملاً بهذا القرآن، إذا سمعوا استبشروا، وإذا سمعوا الوعد والوعيد خافوا ويسألون الله النجاة.

وقال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾﴾(٤)، وقال ﷺ: «الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب»(٥). وهم عالمين به وعاملين به.

وقال ﷺ: «يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به في

---

(١) الصحيحين.
(٢) سورة مريم، الآية: ٦٣.
(٣) رواه مسلم.
(٤) سورة ص، الآية: ٢٩.
(٥) رواه الترمذي.

الدنيا يتقدمه سورة البقرة وآل عمران يحاجان عن صاحبهما»(١).

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾(٢).

فهم لا يقرأون القرآن كالببغاوات، ولكن تتأثر جلودهم وتقشعر من خشية الله والعيون تبكي ويكون لهذا القرآن أثر في سلوك جيل النصر وتعاليم القرآن ومواعظه أمام الأعين.

• رهبان بالليل:

قيام الليل عندهم فريضة فهم فرسان بالنهار رهبان بالليل.

قال تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾(٤).

قال ﷺ: «يا أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام»(٥).

فصلاة الليل هي تهذيب للنفس وحب للخير وإثبات حب الطاعة ووصول الإنسان لدرجة عاليه من الإيمان، فهي صلاة المقربين، ودأب النبيين، وطريق العارفين.

وعن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما عن النبيِّ ﷺ قال: «نعم العبد عبد الله لو كان يصلى من الليل، فكان عبد الله لا ينام من الليل إلا قليلاً»(٦).

• هم عمَّار المساجد:

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾(٧).

---

(١) رواه مسلم.
(٢) سورة الزمر، الآية ٢٣.
(٣) سورة الذاريات، الآية: ١٧.
(٤) سورة السجدة، الآية: ١٦.
(٥) رواه الترمذي.
(٦) متفق عليه.
(٧) سورة الجن، الآية: ١٨.

وقال الرسول ﷺ عن السبعة الذين يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله رجل قلبه معلق بالمساجد فهذه بيوت الله فهم على تشوق للقاء المحبوب وبها الهدوء والسكينة والصلاة في المسجد لها طعم آخر.

• عندهم انتماء للإسلام:

لا ينتمي ولا يتأثر هذا الجيل إلا للإسلام، ولا يعمل إلا للإسلام فالإسلام بالنسبة لهذا الجيل هو الأكسجين وهو الماء، وإذا اصطدم الإسلام بأي شيء في الدنيا، أو في حياته الشخصية، فالإسلام في المقدمة.

• لا يأكل الحرام:

والواقع أن الحرام هو أصل البلية، فالذي ينبت من حرام فالنار أولى به، فهذا جسد لا يصلح لشيء خالي من الإيمان، وخالي من التوكل وخالي من اليقين فهو جسد به سوس لا جدوى منه، ولا يصلح لشيء، وجيل النصر حتى لا يقرب من الشبهات تنزيهًا عن الوقوع في الحرام. قال ﷺ: «إن الحلال بيِّن والحرام بيِّن وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن أتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى ألا وإن كل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلُحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب»[1] (رواه البخاري).

• يعرف قيمة الوقت:

فأمة الساعة لا تضيع الوقت، فكل عبادتها مرتبطة بالوقت، وذلك لمعرفة قيمة الوقت، فالإنسان حياتها كلها بضع ساعات إذا ضاعت منه فلا يبقى له منها شيء فهو يحافظ على كل ثانية من وقته. وكما قال النبيِّ

(١) رواه البخاري.

ﷺ : «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ»(١).

• جيل يقدر العمل:

يعلم أن العمل عبادة بنية خالصة لله، والأمم لا تتقدم إلا بالعمل والإنسان رسالته في الحياة عبادة لله، والعمل لعمارة الأرض.

قال تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝١٠٥﴾(٢).

• يسارعون في الخيرات:

فلهم الأسوة الحسنة في الأمم الماضية الممدوحة.

فقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ۝٩٠﴾(٣).

وقال ﷺ : «خيركم من طال عمره وحسن عمله»(٤). وقال المولى أنه لابد أن تكون أمة تسارع وتدعو للخيرات وإلا لفسدت الأرض.

وقال عزَّ وجَلَّ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝١٠٤﴾(٥).

وقال ﷺ : «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»(٦).

فهذا الجيل يقول ويفعل ولا يكون فيهم قول المولى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣﴾(٧).

---

(١) رواه البخاري.
(٢) سورة التوبة، الآية ١٠٥.
(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٩٠.
(٤) رواه الترمذي.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.
(٦) رواه مسلم.
(٧) سورة الصف، الآية: ٢، ٣.

• جيل الصبر:

جيل الأجيال لابد أن يتصف بالصبر، ولا أقول يتصف ولكن الصبر هو عنوان رئيسي لهذا الجيل الذي سوف يُبتلى ويتمحص ويتعب ويجد حتى يستوي، ويكون هو جيل النصر لهذه المعركة الكبرى فلا عنوان لهم إلا الصبر.

فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾[١]. وقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾[٢].

وقال ﷺ: «الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السموات والأرض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك وكل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها»[٣].

• يحبون لقاء الله:

المحب يرغب في لقاء حبيبه، وذلك لأجل الجزاء على ما فعلوا، ولشكر المولى على ما منحهم من نعم. قال ﷺ: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه»[٤].

• لا يخافون إلا الله:

القلب لا يحمل إلا خوفًا واحدًا والله لا يجمع للعبد بين خوفين فمن خاف في الدنيا أمنه يوم القيامة.

فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾[٥].

---

(١) سورة الزمر، الآية: ١٠.
(٢) سورة البقرة، الآية ١٥٥، ١٥٦.
(٣) رواه مسلم.
(٤) رواه مسلم.
(٥) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

• لا يعرف اليأس إليهم طريق:

مهما حدث لهم من مواقف ومن محن، وحتى من هزائم في المعارك لهم الأسوة الحسنة في الصحابة، فبعد الهزيمة يأتي نصر كبير، وخسارة معركة ليس معناها خسارة حرب.

قال تعالى: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾(١) [الحديد: ٢٣].

وإذا جاء النصر فرحوا واستبشروا. ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝ بِنَصْرِ اللَّهِ﴾(٢) [الروم: ٤، ٥] ويعلمون أن الألم مشترك، ولكن الرجاء مختلف، فالعدو يألم من الضربات وكذلك المؤمن، ولكن الكافر يرجو الدنيا، والمؤمن يرجو ما عند الله. لقوله تعالى: ﴿إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ﴾(٣) [النساء: ١٠٤].

• جيل كله أخوة:

مثلهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكي منه عضو شعر الآخر بالألم وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾(٤) [الحجرات: ٩].

قال ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكي منه عضو تداعي له سائر الجسد بالحمى والسهر»(٥).

• جيل يأخذ بالأسباب:

يعلم الجميع منه أن النصر قادم، ولكن للنصر أسبابًا لابد الأخذ بها، وإعداد القوة والعتاد لمواجهة الكفار، فأمة الحديد تعلم قيمة الحديد والسلاح.

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٣.
(٢) سورة الروم، الآيتان ٤، ٥.
(٣) سورة النساء، الآية: ١٠٤.
(٤) سورة الحجرات، الآية: ٩.
(٥) رواه مسلم.

فقال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾(١).

• جيل يحافظ على صحته ولا يفسدها:

فالصحة هي تاج على رؤوس الأصحاء، ويعلم أن عليه تكاليف شاقة ويحتاج الإنسان لصحته حتى يؤدي ما عليه من جهاد في كل المجالات. قال ﷺ: «لا تزول قدم عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه وعن علمه فيما فعل وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وعن جسمه فيم أبلاه»(٢).

• أمرهم شورى بينهم:

الشورى منهج حياتهم في كل أمر من أمور المسلمين.

وقال تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾(٣). وقال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾(٤).

وفي الشورى يقبل الخلاف في الآراء فهو أمر طبيعي، إلا أنه لا يُقبل منهم الاختلاف فهم لا يعرفون له طريق.

لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾(٥).

• لا يقربون الكبائر:

فهم أحرص على الفضائل والبعد عن المعاصي لا صغائر ولا كبائر.

فقال تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾(٦).

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٦٠.
(٢) سنن الترمذي.
(٣) سورة الشورى، الآية: ٣٨.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٠٥.
(٦) سورة النساء، الآية: ٣١.

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ﴾(١)

وإذا وقع في هذه الأمور الصغائر تذكر وعاد إلى رشده،

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ۝٢٠١﴾(٢).

• حسن الخلق عندهم فريضة:

فهذا الجيل له في رسول أسوة حسنة. وقال ﷺ: «أقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحسنكم أخلاقًا»(٣). وقول المصطفى ﷺ أن دعوة الإسلام هي دعوة أخلاق. وقال ﷺ: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق»(٤). وقال ﷺ: «أثقل شيء في الميزان يوم القيامة خلق حسن»(٥).

وقال ﷺ: «البر حسن الخلق والأثم ما حاك في الصدر وكرهت أن يطلع عليه الناس»(٦).

• جيل رحماء بينهم:

فمن لا يرحم لا يُرحم فالرحمة دليل على لين القلب قال ﷺ: «ليس منا من لا يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا»(٧).

وقال تعالى في وصف الصحابة ورسول الله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾(٨).

• أميرهم منهم:

فهو نتاج هذا الجيل، وهو منهم، فهو ابن الصحوة. وقال ﷺ: «إنكم

(١) سورة النجم، الآية: ٣٢.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ٢٠١.
(٣) رواه أحمد.
(٤) رواه أحمد.
(٥) رواه أحمد.
(٦) رواه مسلم.
(٧) رواه أحمد.
(٨) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة »[١]. وقال ﷺ لعبد الرحمن بن سمر : « لا تسأل الإمارة فإنك إن أعطيتها من غير مسألة أُعنت عليها وإن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها وإذا حلفت يمين فرأيت غيرها خيراً منها فات هذا الذي هو خير وكفر عن يمينك »[٢].

• جيل صفاتهم الأمانة:

فحال جيل النصر دائمًا الأمانة، كما قال عنهم عمر بن الخطاب عن جيل القادسية أن هؤلاء لأمناء.

فقال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾[٣].

قال ﷺ : «آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أُتمن خان »[٤].

• العدل مع الجميع:

فالعدل هو ميزان الحق وبه الأمن والأمان بين الناس جميعًا لا فرق بين مسلم وغير مسلم. قال تعالى : ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[٥].

• علاقتهم واضحة مع غير المسلمين:

وهذه العلاقة يحكمها قول المولى سبحانه وتعالى : ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ⑧﴾[٦]. وقال تعالى : ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ⑨﴾[٧].

---

(١) رواه البخاري.
(٢) متفق عليه.
(٣) سورة النساء، الآية : ٥٨.
(٤) متفق عليه.
(٥) سورة المائدة، الآية : ٨.
(٦) سورة الممتحنة، الآية : ٨.
(٧) سورة الممتحنة، الآية : ٩.

• جيل وسط في إنفاقه:

لا يسرف ولا يبذر، ولا يمسك على نفسه، وعلى من حولهم، والدنيا كلها في أيدهم وليست في قلوبهم.

فقال تعالى: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[١]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ﴾[٢].

وقول الرسول ﷺ: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»[٣].

• جيل حاله التوكل:

يتوكلون على الله في كل أمرهم فالتوكل حالهم، وسنتهم العمل الدؤوب.

قال تعالى: ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[٤]. وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾[٥].

وقال ﷺ: «يدخل الجنة من أمتي سبعين ألف بغير حساب هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون»[٦].

فهذه هي سيمات جيل النصر، فإن وجد جيل بهذه السيمات فليستبشر الجميع ويعلم أن جيل النصر قد جاء، ولا يبقي إلا أن يأتي نصر الله القريب ﴿ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾[٧].



(١) سورة الاعراف، الآية: ٣١.
(٢) سورة الإسراء، الآية: ٢٧.
(٣) رواه البخاري.
(٤) سورة المائدة، الآية: ٢٣.
(٥) سورة الطلاق، الآية: ٣.
(٦) رواه البخاري.
(٧) سورة البقرة، الآية: ٢١٤.



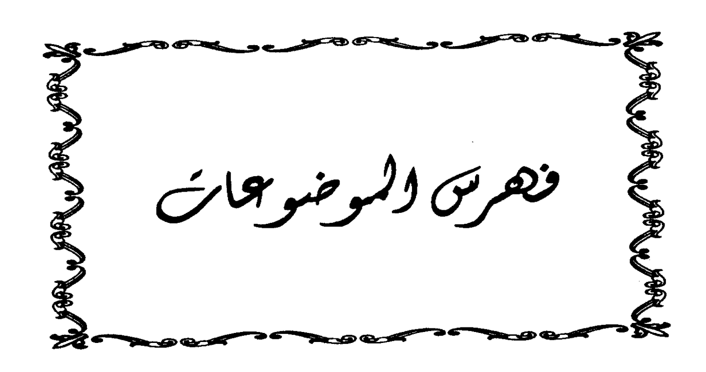

المراجع



المراجـــع

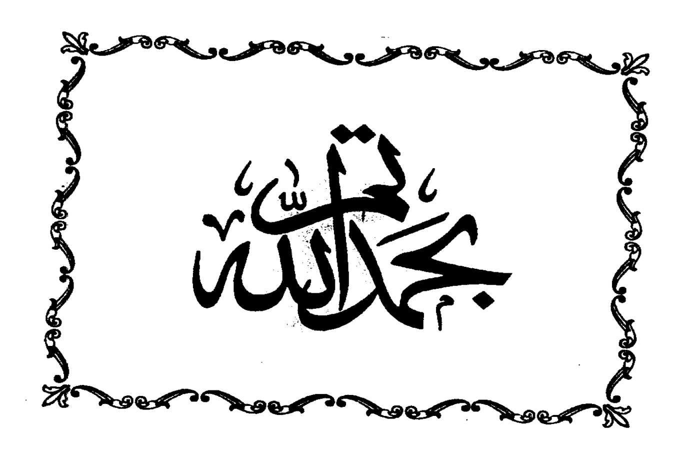
١- القرآن الكريم.
٢- تفسير ظلال القرآن.
٣- فتح القدير للشوكاني.
٤- تفسير ابن كثير.
٥- تفسير الشعراوي.
٦- تفسير القاسيمي بمحاسن التأويل.
٧- الموسوعة الذهبية للحديث.
٨- فتح المسلم في شرح صحيح مسلم.
٩- زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم.
١٠- حياة الصحابة.
١١- الدولة العثمانية للدكتور محمد علي الصلابي.
١٢- الدولة العباسية محمد الحضر بك.
١٣- القادسية ومعارك العراق محمد أحمد باشميل.
١٤- صفة الصفوة لابن الجوزي.
١٥- محمد الفاتح محمد علي الصلابي.
١٦- صلاح الدين بطل حطين د. عبد الله ناجح علوان.
١٧- معارك العرب ضد الغزاة د. محمد عمارة.
١٨- المظفر قطز ومعركة عين جالوت بسام العلي.
١٩- هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا أعاد القدس، الدار العالمية للكتاب الإسلامي والمعهد العالمي للفكر الإسلامي.




فهرس الموضوعات

فهرس موضوعات

الموضـــــوع	رقم الصفحة


تم بحمد الله